# الرياض والزهور والنسائم

# في شعـــر

# ابن زيدون

محمد العربي الخطابي

حفت الرياض والزهور بأول لقاء تم بين ابن زيدون وولادة . وفي ذلك يقول الشاعر ، فيما يرويه ابن بسام في الذخيرة ، (( أقبلت ... وقد أطبقت نرجس المقـل على ورد الخجل، فملنا الى روض مديج، وظل سجسج قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل أنهـاره ،ودر الطل منثور .. وبتنا بليلة نجني أقحوان الثغور )).

محمد العربي الخطابي

أخذ ((كستون باشلار)) ـ وهو فيلسوف وصاحب مذهب في النقد أخـذ على نقاد الادب كونهم يفسرون الافكار بالافكار ، والاحـلام بالافكار وينسون ما ليس منه بـد وهو تفسير الاحلام بالاحلام .

واني لاعترف بأنه ليس من الهين تطبيق هذه النظرية على النتاج الادبي لشاعر مثل أحمد الوليد ابن زيدون الذي عاش في الاندلس في القرن الخامس الهجري ( الحادي عشر الميلادي ) فكان صورة لعصره من حيث أنه تأثر بالانماط الشعرية التي كانت سائدة في زمانه كما تأثر بالبيئة الاجتماعية والطبيعيةالتي عاش فيها ، فكان شعره جزءا من تاريخ حياته وحياة مجتمعه ، وهو ان لم يكن جنح الى الاخيلة الغريبة والصور المبهمة والايحاءات الواخزة فانه قال أحسن ما كان عليه أن يقوله بلغة الحب ، فكان بحق شاعر الجمال ابان عن خيال روضي الالوان رشيق الطيوف فجاءت بعض صوره الشعرية أشبه ما تكون بالاحلام في أسلوب موسيقي الايقاع حلو النغم بديع المعاني عذب اللفظ مع صدق المعاناة العاطفية في غالب الاحيان وسوف أعرض فيما يلي لانماط من تلك الصور معتمدا أكثر الاعتماد على الانطباعات التي خلفتها في نفسي قراءة شعره العاطفي ومبتعدا عن صرامة التفسير الحرفي للالفاظ والمعاني . وما أشبه عملي هذا بتفسير الحلم بالحلم ، وهل من سبيل الى غير ذلك حينما تقرأ للشاعر :

**يدنو بوصلك حين شط مزاره**
**وهم أكاد به أقبل فاك**

أو قوله :

**ماضر أنك بالسلام ضنينة**
**أيام طيفك بالعناق جواد**

أو مثل هذه الصورة :

**وما ولعي بالراح الا توهم**
**لظلم به كالراح لو يترشف**

اذا كان الشاعر ينهل من نبع الطبيعة الفياض معاني شعره ، وينحت من الحب تمثال الهامه ، فانه يحس في نفسه لا محالة بربيع دائم تؤلقه الذكريات ، حلوها ومرها ، ويفتح أزهاره الشعور المشبوب فتبقى بلابله في القلب شادية وخضرته ندية ، ونسائمه منعشة

وربما يشوب قلب الشاعر مرارة منهجر أو صد أو غيرة أو خلف للوعود ، وقد يشتكي من لوعات البعاد ويصرخ من ظلم الحبيب ويذوب من الشوق حسرات ، الا أن ذلك كله لا يحجب عنه مباهج الربيع اذا كان في نفسه احساس دائم بالخضرة واليناعة ، فلا يفعل الاسى في قلبه الا ما تفعله الغمامة الماطرة في الروض الاخضر تسقيه فيزداد الزهر نداوة والعشب تألقا والجدول تموجا .

ولعل هذا البيت لابن زيدون يوحي الينا بما قد كان يحسه في نفسه من دوام الربيع :

**ولا بأس ان كان ولي الربيع**
**اذا لم تجد فقده الانفس**

وليس غريبا أن يحس شاعرنا بالخضرة الدائمة تونع في نفسه ، ذلك أنه أحب الحياة التي أمدته في ربيع أيامه ، وهو في قرطبة ، بضروب من الرخاء والنعيم ، وبأفانين من الترف ورقة العيش :

**ليالي نامت عيون الوشا**
**ة عنا وعين الرضى لم تنم**

**ومالت علينا غصونالهوى**
**فأجنت ثمار المنى من أمم**

**وأيامنا مذهبات البرود**
**رقاق الحواشي صوافي الادم**

لقد ترعرع الشاعر في عاصمة الخلافة الاموية بالاندلس ، وتنقل مرحا خفيفا بين « الرصافة » « والزهراء » و « عين شهدة » و « تملى بمفاتن نهر « العقيق » و « مصنعة الدولاب » و « جبل العروس » فتشربت نفسه هناك عطر الزهور وبناعة الخضرة، وسرت بين جوانحه رقة النسائم ، وانطبعت في قلبه أغاريد الطيور وأهازيج الحمائم ، انها المعاهد التي قال عنها الشاعر :

**كساها الربيع الطلق وشي الخمائل**
**وراحت لها مرضى الرياح البلائل**
**وغادى بنوها العيش حلو الشمائل**
**ولا زال منا بالضحى والاصائل**
**سلام على تلك الميادين يقرأ**

وهي التي خاطبها بقوله :

**نهارك وضاح ، وليلك ضحيان**
**وتربك مصبوح ، وغصنك نشوان**
**وأرضك تكسي حين جوك عريان**
**وحسب الاماني طلك المتفيأ**

وفي هذه المرابع العطرة لقي ابن زيدون – وهو شاب وسيم مترف وشاعر طموح – المرأة التي أحبها وأخلص لها الود ما استطاع بعد أن عرف في أكنافها الصفاء وذاق بقربها متع الغرام ردحا من الزمن ( ما كان أقصره ! )

**اذ جانب العيش طلق من تألفنا**
**ومربع اللهو صاف من تصافينا**

**واذ هصرنا غصون الوصل دانية**
**قطوفها فجنينا منه ماشينا**

وما أسرع ما انقضت هذه الايام الحلوة الصافية، وولت فأعقبها من المحن ضروبا : سجن وغربة وهجران الحبيب وتعنت الغريم ! وقد طبع كل ذلك احساس ابن زيدون بميسم الجمال الذي صقلته التجارب وصدق المعاناة .

يذكر ابن زيدون ذلك العهد الهنيء الصافي بحنين تكسوه المرارة ، ويصوغ أحاسيسه في صور شعرية يمتزج فيها الحلم المعسول بالواقع الاليم :

**تنشق من عرف الصبا ما تنشقا**
**وعاوده ذكر الصبا فتشوقا**
**وما زال لمع البرق لما تألقا**
**يهيب بدمع العين حتى تدفقا**
**وهل يملك الدمع المشوق المصبأ ؟**

★ ★ ★

**رمتني الليالي عن قسي النوائب**
**فما أخطأتني مرسلات المصائب**
**أقضي نهاري بالاماني الكواذب**
**وآوى الى ليل بطيء الكواكب**
**وأبطأ سار كوكب بات يكلأ**

وما « عرف الصبا » في خيال الشاعر الا بقية من نسمة الدار البعيدة وشذى الحبيب الغائب يسريان في قلب يذكر بحسرة عهد الشباب ، فتنبثق منه لمحة أمل كاذب يستدر الدمع من أجفان يابسة تبيت ليلها ترعى النجوم من أرق وسهر .

ويملأ الحبيب في هذا الحلم الحزين مكانا رحيبا وان ذكراه لتغمر النفس طيبا والقلب نشوة رغم الاشجان العارضة :

**وما اعترضت هموم النفس الا**
**ومن ذكراك ريحاني وراحي**

امتزج في قلب ابن زيدون حبه لمعشوقته بحنينه الى قرطبة ومعاهد الانس واللهو والصفاء فيها ، فجاءت تجربته الشعرية اعرابا عن تباريح الحب الملتهب وحسرة الفراق المرير ، ولواعج الغيرة المستعرة ، ولهفة الشوق المشبوب ، ثم أن جمال المدينة التي ولد فيها وعاش في ظلالها ردحا من الزمن طبع شعره العاطفي فعبقت منه أرائج الورد والنسرين والبهار والياسمين وتفتحت فيه عيون النرجس والبنفسج ، وتألق في رياضه الآس والاقحوان ، وطفح على صفحة غدرانه النيلوفر ، وجلل عباراته الطل والغمام ، وغرد في أغصانه القمري وناح الحمام .

واذا كنا لا نعتبر ابن زيدون من شعراء الطبيعة المتخصصين في وصف الخمائل والزهور والانهر والبرك والمجرات كابن حمديس وابن خفاجة – مثلا – فاننا

لا نتردد في اعتباره شاعر الجمال المتمثل في المرأة وفي مفاتن الطبيعة جعل الرياض والزهور والنسائم شاهدة على حبه وعبر من خلالها من خلجات نفسه ونبضات فؤاده وومضات شعوره ، واستعان بكل ذلك في التعبير عما كان يكابده من وصل أو قطيعة ، من قرب أو بين ، من أنس أو وحشة . وفي هذا كان ابن زيدون مجددا بقدر ما أتيح له من صدق التجربة ، وهو وان لم يبتعد في صوغ شعره العاطفي ، عن البناء التقليدي ، وعن الافادة من نماذج التعبير المعروفة في الشعر العربي القديم ، الا أنه وفق في صوغ ألفاظه ومعانيه على نسق موسيقي عذب الايقاع مشرق الخيال سريع النفاذ الى القلب . وعلى العكس من ذلك جاء شعره في المديح والرثاء والاحاجي بادي التكلف في اللفظ والمعنى ، شديد الالتصاق بالقوالب الشعرية التي سبقه اليها من تقدمه من فحول .

كان الربيع حيا في نفس ابن زيدون فشغلت الرياض والزهور والنسائم حيزا مرموقا في احساسه وخياله الشعري ، وجعل منها عناصر حية متحركة تشاطره بعض معاناته ويفضي اليها بما يحسه ، تذكره بالدار والحبيب وتثير لواعج نفسه . قال وهو يفيض حنينا الى قرطبة :

**ويوم بجوفي « الرصافة » مبهج**
**مررنا بروض الاقحوان المدبج**
**وقابلنا فيه نسيم البنفسج**
**ولاح لنا ورد كخد مضرج**
**تراه أمام النور وهو أمام**

جمع الشاعر في هذا الوصف المنمق : الاقحوان والبنفسج ، والورد ، والنور ( ولعله يقصد بالنور زهر اللوز ) ، وهذه الازهار كلها وثيقة الصلة بالحب والجمال انبثقت في أحلام الشاعر وهو يذكر يوما « بالرصافة » ، هذا الربض القرطبي الاغن ، الذي لم يزل يثير في نفسه ذكريات ضاحكة باكية :

**ولا زال نور في «الرصافة» ضاحك**
**بأرجائها يبكي عليه غمام**

وكأني بالشاعر يرمز بروض الاقحوان الى نعومة الحياة وعضارتها في ظل حبيب حلو المبسم عذب الثغر ويرمز بنسيم البنفسج الى أنفاس الحبيبة العطرة ، وبالورد الى تألق محياها . وبالنور الى اقبالها ورضاها في مراتع أنس تزينها الخضرة والماء ويطيبها الهواء المنعش :

**لنعم مراد الانس روضا وجدولا**
**ونعم محل الصبوة المتبوأ**

★ ★ ★

**ويارب ملهي « بالعقيق » ومجلس**
**لدى ترعة ترنو بأحداق نرجس**
**بطاح هواء مطمع الخال موئس**
**مغيم ولكن من سنا الراح مشمس**
**اذا ما بدت في كأسها تتلألأ**

واذا كان ابن خفاجة قد شبه النرجس بالعاشق لاصفراره ، وذلك في أبيات له مشهورة ، فان ابن زيدون قد جعل منه أحداقا تحيط بترعة فتزيدها بهجة ورواء وجعل لزهرة البهار حدقا حينما قال مخاطبا الوزير أبا عامر :

**وهل أنسى لديك نعيم عيش**
**كوشي الخد طرز بالعذار**

**وساعات يجول اللهو فيها**
**مجال الطل في حدق البهار**

ويذكر الشاعر تلك الايام الخوالي ، من خلال صديق له يدعى أبا القاسم بن رفق فتنبعث من خياله ألوان زرق وخضر وحمر وعفر تنعكس على الحدائق والجداول والتربة الطيبة بينما تكتسي الرياض رياشا رقيقة من زهر :

**أين أيامنا وأين ليال**
**كرياض لبسن أفواف زهر**

**وزمـــان كأنمـا درب فيـــه**
**وسن أو هفا بـه فرط سـكر**

**حـين نغـدو الى جداول زرق**
**يتغلغلن في حـدائـق خضـر**

**في هضاب مجلوة الحسن حمر**
**وبراث مصقولـة النبت عفـر**

والغواني الحسناوات لهن مقـام حميد في هـذا المهرجان الملون ، لا فرق بينهن ، في أحـلام الشـاعر ، وبين الرياض الجميلة يناعة ودلالا وعطرا .

**مشين يباهـين روض الربـــا**
**بيانـع روض الصبـا المقتبـل**

**فمـن قضب تتثنى بريـــح**
**ومـن قضب تتثنى بـــدل**

**ومـن زهرات تنـدى بمسك**
**ومـن زهرات تنـدى بطـل**

ألا ترى كيف صور لنا الشاعر في هذه الابيـات لوحة خفيفة الظلال ، حالمة الطيوف ؟

ويتشوق الشاعر الى حبيبته وهو بعيد عنهـا ، مختفيا في « الزهراء » بعد فراره من سجن ابن جهور، فيربط بين يوم التذكر والفراق وأيامالتصافي والوصال ربطـا أنيقـا رقيقا تتفاعل فيـه عناصر الطبيعة مـع أحاسيس النفس وصبابات الفؤاد .

يصـور الشاعر ، أولا ، مكـان التذكر ومنطلق الحنين في « الزهراء » التي هي في ذاتهـا قصـة حب يتجلى فيها الوفـاء ومكانة المعشوق عنـد العاشق . يقول ابن زيدون :

**اني ذكرتـك بالزهراء مشتاقا**
**والافقطلقومرأىالارضقد راقا**

**وللنسيم اعتـلال في أصـائله**
**كأنـه رق لي فاعتـل اشفاقا**

**والروض عنمائه الفضيمبتسم**
**كما شققت عن اللبان اطواقـا**

يصف الشاعر في هذه الابيات المكان الذي هاجت فيه ذكراه وانبعثت أشواقه ، يذكر حبيبته و « الافق طـلق » يتيح لـه أن يستشرف منزلها وهو منـه على مرمى البصر ، ويبدو له مرأى الارض رائقـا كمحيـا الحبيب يعكس في نفسه صفاء المنظر الذي يمكنه منأن يستعيد في مخيلته المرمرية صور المراتع التي نعم فيها بلقاء الحبيب ورضاه . يربط حاضره الحزين بماضيه المتألق مستعينا بالنسيم العليل ، والروض المبتسم :

**يـوم كأيـام لذات لنا انصرمت**
**بتنا لها حين نام الدهر سراقـا**

**نلهو بما يستميل العين من زهر**
**جال الندى فيه حتى مال أعناقا**

**كأن أعينـه ، اذ عاينت أرقى ،**
**بكت لي فجال الدمع رقراقـا**

**ورد تـألق في ضـاحي منابتـه**
**فازداد منهالضحىفيالعيناشراقا**

**سـرى ينافحه نيلـوفر عبـق**
**وسنان نبه منه الصبح أحداقا**

ألا ترى كيف بعث الشاعر حياة وحركة في الزهر والـورد والنيلوفر ( ولعلـه يقصد بالزهر هنـا زهر اللارنجكما اصطلح المغاربة على تسميته ) ؟ يميسالزهر النـدى فينصب نفسه رقيبا رقيـق الحس شفيقا ، ويزداد الضحى اشراقا بتألق الورد ، ويُخالط الوسن أحداق النيلوفر ، هذا الزهر المائي الذي من عادته أن يطبق أجفانه ليـلا ويفتحها نهـارا . وهكـذا انبثقت الذكرى في باقة زهور واشتعلت جذوة الشوق فيمغاني « الزهراء » وامتزجت قسوة الفراق الحاضر بنشـوة اللقاء الماضي ، وتفاعلت « أسطورة » المكان مع عواطف الشاعر وأخيلته الملونة . ألا يوحي المكان بالحب ــ ان كان يحمل اسم الحسناء التي أحبها الخليفة المنصور

أو بالازهار ان كان اسم هذه الضاحية الغناء مشتقا منها ؟ وقد كان للزهراء مكان أثير في نفس الشاعر فقال في وصفها :

**ويا حبذا « الزهراء » بهجة منظر**
**ورقة أنفاس ، وصحة جوهر**
**وناهيك من مبدا جمال ومحضر**
**وجنة عدن تطبيك وكوثر**
**بمرأى يزيد العمر طيبا وينسا**

وناجاها بقوله :

**ألا هل الى « الزهراء » أوبة نازح**
**تقصى تنائيها مدامعه نزحا**

**مقاصير ملك اشرقت جنباتها**
**فخلنا العشاء الجون أثناءها صبحا**

ويذهب الخيال الشعري أحيانا بابن زيدون مذهبا يلتبس عليك أمره فلا تدري أحبيبته يقصد فيما يصفه لك أم غصونا وزهورا أم كلاهما معا :

**ورامشة يشفي العليل نسيمها**
**مضمخة الانفاس طيبة النشر**

**أشاربها نحوى بنان منعم**
**لاغيد مكحول المدامع بالسحر**

**سرت نضرة ، من عهده في غصونها**
**وعلت بمسك من شمائله الزهر**

**اذا هو أهدى الياسمين بكفه**
**اخذت النجوم الزهر من راحة البدر**

وانك لتحير في أمر هذه الرامشة المعطرة الناضرة أهي غصن ريحان أم باقة آس وياسمين في يد غادة مكحولة المدامع ، أم انها الحبيبة تتضوع مسكا وطيبا وتتألق نضارة واشراقا ؟

ويذكر الشاعر روضة الوصل الناعمة فيقول :

**أذكرتني سالف العيش الذي طابا**
**ياليت غائب ذاك العهد قد آبا**

**اذ نحن في روضة للوصل نعمها**
**من السرور غمام فوقها صابا**

وروض السرور أحق بأن يسقى بماء الغمام كي يبقى نضرا يانعا غض الرياحين ، وفي ذلك يقول الشاعر :

**ليسق عهدكم عهد السرور. فما**
**كنتم لارواحنا الا رياحينا**

ويذهب حلم الشاعر بعيدا حينما تصبح الحبيبة في خياله روضة باسمة يانعة الحواشي :

**يا روضة طالما أجنت لواحظنا**
**وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا**

**ويا حياة تملينا بزهرتها**
**منى ضروبا ولذات أفانينا**

ومن أجل الحبيب وجماله ورضاه واقباله تصبح قرطبة كلها روضا في خيال الشاعر فيدعو لها بصوب غمام يزيدها نضرة :

**واحور ساجي الطرف حشو جفونه**
**سقام برى الاجسام منه سقام**

**تخال قضيب البان في طي برده**
**اذا اهتز منه معطف وقوام**

**يدير على رغم العدا من وداده**
**سلافا كأن المسك منه ختام**

**فمن أجله أدعو لقرطبة المنى**
**بسقيا ضعيف الطل وهو رهام**



وبالزهور عبر المشاعر عن بعض عواطف الصداقة التي كانت تجيش في نفسه فقال من قصيدة يخاطب بها صديقه أبا حفص بن برد :

**لا يكن عهدك وردا — ان عهدي لك آس**

★ ★ ★

ولما كان جمال الرياض والزهور لا يكتمل الا بالنسائم الرقيقة المنعشة التي يرومها قلب العاشق المعني وجسمه السقيم ، فقد أحلها الشاعر من خياله محلا كريما والتمس صحبتها وبثها بعض نجواه .

واذا كان ابن خفاجة قد جعل من النسيم لسان الخمائل حينما قال :

**ونمت بأسرار الرياض خميلة**
**لها النور ثغر والنسيم لسان**

فان ابن زيدون قد ذهب أبعد من ذلك فيما خلعه على النسائم من صفات ، وما ربطه من صلات بينها الدار والحبيب في حال قربه منهما وبعده عنهما ، فهو يشبه نعومة الحبيب ولينه أيام الوصل بلين النسيم فيقول :

**عللتني بالمنى حتى اذا علقت**
**بالنفس لم أعط من اسبابها طرفا**

**غيرت عن خلق قد لان لي زمنا**
**لين النسيم فلما لذ لي عصفا**

ويحمل شاعرنا النسيم تحياته الى الحبيب في صورة مألوفة ، وربما تمنى أن يرجع اليه هذا النسيم محملا بتحيات الحبيب البعيد فتحيا بذلك نفسه :

**ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا**
**من لو على البعد حيى كان يحيينا**

ويتمنى على النسيم أن يحمله الى حبيبته لترى بعينيها ما فعل به الغرام والبعد :

**لو شاء حملي نسيم الصبح حين سرى**
**وافاكم بفتى أضناه ما لاقى**

ويذهب الامل بالشاعر بعيدا فيتمنى أن يحمل اليه النسيم أحيانا سلام من يحب :

**وحسبي أن تطالعك الاماني**
**بأفقك في مساء أو صباح**

**وأن تهدي السلام الي غبا**
**ولو في بعض أنفاس الرياح**

ولن تكون هذه الانفاس ، في خيال الشاعر ، ا محملة ، مع سلام الحبيب ، بشذى المسك من أنفاسه

ويجعل الشاعر النسيم يشاطره بثه ، فيعتا وكأنه يشكو — على لسان الحبيبة — تجاوبا مع شكو; الشاعر واشفاقا من حاله :

**ولطالما اعتل النسيم فخلته**
**شكواي رقت فاقتضت شكواك**

ويعصف بالشاعر حنين الى الدار والحبيب وهو بعيد عنهما في بلنسية ، فيتخذ التذكر صور شعرية يميل بها الخيال الى ما يشبه الحلم :

**غريب بأقصى الشرق يشكر للصبا**
**تحملها منه السلام الى الغرب**

**وما ضر انفاس الصبا في احتمالها**
**سلام هوى يهديه جسم الى قلب**

القلب في قرطبة مقيم مع الحبيب ، وليس في بلنسية سوى جسم مهدود سقيم ، والنسيم رسول سلام ، يحمله من شرق لغرب .

★ ★ ★

هكذا أعرب ابن زيدون عن عاطفته المشبوبة بالروض والزهور والنسائم ، من خلالها سالت مدامعه وتدفقت أشواقه ، وانتثرت ذكرياته عبيرا وعطرا وصبابة .

شاعر اصطبغ حنينه الدائم الى قرطبة بلون الزهور ، وتعطر بأريج الرياض ونسماته ، يذكره كل ذلك بالمرأة التي أحبها ونعم معها بالقرب واللقاء وشقي منها بالصد والبعاد ، فبقيت في خياله وأحلامه طيفا يتهادى بين الخمائل والجداول ، فيخلع عليها من الصفات أزكاها طيبا ، وأغضها عودا ، وأكثرها ترفا ، فقال في وصفها :

**وغصن ترشف ماء الشباب**
**ثراه الهوى وجناه الامل**

**وتبرز خلف حجاب العفاف**
**وتسفر تحت نقاب الخجل**

وقال :

**يا فتيت المسك يا شمس الضحى**
**يا قضيب البان يا ريم الفلا**

ووصفها بهذه العبارات :

**اذا تأود آدته رفاهية**
**توم العقود وادمته البرى لينا**

**كأنما أنبتت في صحن وجنته**
**زهر الكواكب تعويذا وتزيينا**

وناجاها بمثل قوله :

**ويا نعيما خطرنا من غضارته**
**في وشى نعمىسحبنا ذيله حينا**

وهي المرأة التي أحس ، وهو قريب منها بقصر الزمان فقال :

**يا لها ليلة تجلى دجاها**
**من سنا وجنتيك عن ضوء فجر**

**قصر الوصل عمرها وبودي**
**أن يطول القصير منها بعمري**

وهيالتي شقي بها حينما رمته بالهجر والقطيعة فوجه اليها اللوم والعتاب فيعبارات هائجة منمثل قوله:

**ضيعت عهد محبة**
**كالورد سامره الندى**

**أين ادعاؤك للوفاء**
**وما عدا مما بدا**

فهل كانت هذه المرأة الفاتنة ، الواصلة القاطعة، هي « ولادة » التي تحدثت عنها روايات مؤرخي الادب وقال فيهاالشاعر ماقاله من شعر الحب أم أنها كانت في معظم ما قاله مجرد طيف في خيال الشاعر وأحلامه

الحقيقة التي لا مرية فيها هي أن التاريخ قد خلد ابن زيدون كشاعر من شعراء الحب ، وشهد له بذلك الروض والزهر والطل والنسيم وعرائس الخيال .

**محمد العربي الخطابي**

# بطاقة تعريف بابن زيدون

– ولد أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي سنة ٣٩٣ هـ . وكانت ولادته –بالرصافة– من ارباض قرطبة. وقد خلد الشاعر اسم اسم هذا المكان في قصائد من شعره . وكان دائم الحنين اليه .

– فقد الشاعر أباه وهو في الحادية عشرة من عمره فعاش في كفالة جده لأمه أبي بكر بن محمد ابن ابراهيم بن سعيد القيسي الذي ولي القضاء وأحكام الشرطة ، وكان أبو الشاعر عالما فقيها أديبا ، وكان ميسور الحال .

– نشأ الشاعر في بيت علم وأدب . وتلقى تعليمه بقرطبة فبرز في علوم اللغة والادب . وكان أبو بكر ابن مسلم بن أحمد بن أفلح المعروف بالنحوي من أساتذة الشاعر . ومن آثار ابن زيدون النثرية رسالة كتبها لاستاذه هذا . وله رسائل نثرية أخرى أشهرها الرسالة الجدية والرسالة الهزلية .

– كان ابن زيدون منذ عهد شبابه شديد الطموح معتزا بنفسه ، وكان له ضلع في الاطاحة بالخلافة الاموية ومناصرة حكم أبي الحزم بن جهور الذي ولاه أهل قرطبة عليهم سنة ٤٢٢ هـ .

– قرب أبو الحزم بن جهور ابن زيدون فاستوزره وعهد اليه بسفارات بينه وبين عديد من أمراء الاندلس ثم سجنه سنة ٤٣٢ لتهمة لفقت ضده ، وربما كانت سعايات خصومه ومنافسيه سببا في اثارة حفيظة أمير قرطبة على ابن زيدون . وتقول الروايات بأن ابن زيدون قضى في السجن نحو خمسمائة يوم ، ثم تمكن من الفرار الى اشبيلية حيث وجد من أميرها المعتضد ابن عباد ترحيبا ورعاية .

– عاد الى قرطبة بعد أن عفا عنه أبو الحزم الذي كانت تربطه بالشاعر صداقة متينة، فقربه واعتمد بن جهور الذي ما لبث ان مات فخلفه ابو الوليد ٤٣٥هـ عليه في السفارة بينه وبين عدد من أمراء الاندلس .

– لم يلبث أن حصل بين أبي الوليد بن جهور وبين ابن زيدون جفاء جعل الشاعر يختار – بعد سياحة جاب خلالها عدة أمارات أندلسية – الاستقرار في اشبيلية حيث ولاه المعتضد أسمى مناصب الدولة من وزارة وكتابة . ولما ولي الامر المعتمد بن عباد بعد وفاة أبيه سنة ٤٦١ أقر ابن زيدون في منصبه وقربه . وأعان الشاعر الامير الجديد على فتح قرطبة وضمها الى امارة اشبيلية .

– توفي ابن زيدون سنة ٩٦٣ هـ ، وكان المعتمد أوفده ، وهو معتل الصحة ، في مهمة من مهام الدولة الى اشبيلية .

– تزوج ابن زيدون وخلف ولدا هو أبو بكر ابن زيدون الذي تولى منصب الوزارة للمعتمد وقتل سنة ٤٨٤ هـ .

– اشتهر ابن زيدون بشعره العاطفي في الحب والشكوى من الصد والبعد عن الدار والحبيب . وقد ألهمته معظم شعره في النسيب ولادة بنت الخليفة محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله . وكانت على حظ وافر من الجمال والظرف والنباهة ولطف الحديث ، محبة للادب ومجالسة الشعراء كما كانت متحررة خفيفة الحجاب . أحبها ابن زيدون في عهد شبابه ، ويظهر أنها كلفت به بعض الوقت ثم رمته بصدها ، كما فرق بينه وبينها السجن والبعد عن قرطبة ومنافسة بعض الغرماء ومنهم أبو عامر ابن عبدوس . وماتت ولادة سنة ٤٨٤ هـ . دون أن تتزوج . وقد وصف ابن زيدون ولادة في بعض شعره، وخلع عليها كل صفات الجمال والحسن والرقة ونبل المحتد وشرف النفس ، وشكا اليها ما لقيه من شقاء بسبب صدها وبعده عنها ورماها في بعض شعره بقول لاذع. وكانت ولادة نفسها شاعرة ، ولم يصلنا من شعرها الا القليل .

# البيت اولاً

نص المحاضرة التي ألقاها معالي الشيخ
هشام ناظر وزير التخطيط السعودي في نادي الطائف
الادبي مساء يوم الاثنين الموافق ٩٧/٩/٢٢ هـ

**هشام ناظر**

**أيهـا الاخـوة**

تستهل مسيرة التنمية في بلادنا رحلة « الالف مشوار » بمقدمة يمر المسئولون والناس بها مر الكرام كأنها كتبت لتضفي الاناقة على كتاب امتصت الارقام روحه ، ويبست اطرافه الجداول والرسوم

وبلد **كبلدنا** ـ يأمل الوصول الى **أهداف عظيمة** عبر طريق وعرة ، لا يملك أن يستهين بما يقرأ ، بل الاكثر من ذلك : انه لا يملك أن يكتب للاناقة في لحظات يسجل فيها **التاريخ** على هذه **الامة** كل ما يقال ويكتب في سجلاتها .

والمقدمة التي أشير اليها هي الفقرة الاولى من الفصل الاول من خطة التنمية لهذه البلاد التي تعرف **التخطيط على انه الاستخدام الفعال المنتج للموارد المتاحة لبلد ما وفق أولويات معينة تحدد على أساس مدروس لتحقيق أهداف تقتضيها المصلحة الوطنية العامة .** ولما كانت **الاهداف العامة** تستند الى نوعية **القيم** التاريخية والاخلاقية والسياسية التي يسير على هديها أي بلد فان خطة التنمية تعكس في جوهرها بالضرورة المبادىء والقيم لذلك البلد .. ثم تنبري الخطة لتقرر أن أهدافها التي سأسردها لكم ، تعكس المبادىء والقيم التي تسترشد بها المملكة في مسيرتها المتزنة نحو التنمية .. وهي :

أولا : **الحفاظ على القيم الدينية والاخلاقية الاسلامية .**

ثانيا : **تعزيز الدفاع عن المملكة واستمرار ترسيخ الامن الداخلي فيها .**

ثالثا : **تحقيق ـ والحفاظ على ـ معدل مرتفع للنمو الاقتصادي عن طريق تنمية الموارد الاقتصادية والحصول على أقصى قدر من ايرادات الزيت خلال أطول فترة ممكنة ، مع الحفاظ على الموارد القابلة للنضوب .**

رابعا : **تخفيف اعتماد اقتصاد المملكة على صادراتها من الزيت الخام عن طريق توسيع القاعدة الاقتصادية للمملكة .**

خامسا : **تنمية القوى البشرية عن طريق التوسع في التعليم والتدريب ورفع المستوى الصحي .**

سادسا : **زيادة الرفاهية لجميع فئات المجتمع ودعم الاستقرار الاجتماعي في مواجهة التغيرات الاجتماعية السريعة .**

سابعا : **بناء التجهيزات الاساسية اللازمة لتحقيق الاهداف العامة المذكورة بعاليه .**

ولست أزمع الليلة أن أتناول في حديثي اليكم **الاهداف الاقتصادية** للخطة كما سردتها الآن، ولاموجبات وضعها **كأهداف** وطنية على **الامة** بأسرها مسئولية تحقيقها .. ولكني وللتاريخ الذي يسجل علينا جميعا، أود أن أكرر ما أقوله في كل مكان ، **اننا في فترة من الزمن قذف القدر فيها بمفتاح الغد في حجرنا** ـ فنحن ـ شئنا أم لم نشأ ـ **نؤثر** بشكل مباشر في مستويات المعيشة لدول العالم وبالاخص الدول الصناعية منها ونحن ـ شئنا أم لم نشأ ـ نؤثر بشكل مباشر في السياسة النقدية الدولية ونحن ـ حتى ولو لم يقبلوا ـ نؤثر في السياسة الدولية بشكل عام . ونحن ـ كما قال الشاعر لملك البلاد الراحل :

شئت أم لم تشأ فأنت مع التاريخ في موعد يتيم المثال

**فالسؤال** اليتيم الذي يلح على الجواب هنا ...

**ما الذي ياترى سنفعله في الموعد اليتيم قبل أن تمتد يد القدر فتلتقط المفتاح من حجرنا ؟؟**

وانني لافترض اننا باذن الله سائرون لتحقيق هذه الاهداف بالرغم مما يعترض طريقنا من مصاعب .. فما كان السبيل الى الكفاية والمنعة قط أمرا سهلا ، ولا كان عمر تحقيقه قط وجيزا في أعمار الامم .

الا انه في الوقت نفسه لابد لكل فرد في بلادنا وهو يدلي بمجهوده في مسيرة « الالف مشوار » أن يعي تماما :

أولا : ان **المال** الذي بهر العالم وجوده في خزائننا **لا يكفي لاستعادة حضارة بنيت على أسس أقوى من المال .** ولعل الخدعة الكبرى المتمثلة في التغني بالغنى ، والتشدق به ، والارتكان اليه قد انكشفت الآن أمام الواقع الحق ..

ثانيا : ان الحضارة التي سنستعيدها باذن الله ، لن تبقى فينا ما لم نحطها بسياج عظيم **من أخلاق العلم والعمل والتعامل .**

ومن هنا نعود الى ما بدأناه من حديث الليلة ان **الاهداف العامة لأي بلد كان تستند الى نوعية القيم التاريخية والاخلاقية والسياسية التي يسير على هديها ذلك البلد ..** والى أن **الهدف الاول** في خطة التنمية للمملكة العربية السعودية **هو الحفاظ على القيم الدينية والاخلاقية الاسلامية .**

ولعلي لا أحتاج الى دليل لكي أفسر نجاح برامج التنمية في أي بلد على أنه ينبثق من رغبة الناس ومقدرتهم على العمل الجاد على المستوى الوطني لتحقيق أهداف تتقمص وجدانهم وتستولي على كينونتهم .. **فالله جل وعلا لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..**

وهذا التغيير الذي ننشده ونرجوه .. الذي يستهدف تبديل المرض بالصحة ، والفقر بالكفاية ، والجهل بالمعرفة ، لا يتأتى الا بخلاق مزاياه العمل والاحتراف .. لأن من بات كالا من عمل يده غفر له ما تقدم من ذنبه ولان الله يحب العبد المؤمن المحترف .

وبلاد كبلادنا تؤمن بالاسلام عقيدة وأسلوب حياة لابد أن **تفرض الالتزام بالتنمية والمساهمة الفعالة فيها** كواجب ديني لا يقل في منزلته عن أي من العبادات ، وخلق اسلامي لا بد من التمسك به .. **فالعمل الذي يستهدف خلق مجتمع اسلامي قوي لا يقبل الفصل بين شعائر الدين وأخلاقه ،** لأن الحياة كلها خاضعة لشعائر الله يملك الفرد أن يعمل فيهـا للدنيا كعمله للآخرة .. ويتساوى ثوابه فيهما ما احتسب وجه الله في عمله .

**والالتزام بالتنمية** على أساس أنهـا **واجب ديني** لخلق جهاز قويم لأمة قوية يدرأ عنها عاديات الزمـان وتقلب الايـام ويدفع اللامنتمين والمتفرجين الى ذيـل المسيرة، ويحمي مكاسبها من حملات التشكيك والخذلان التي يشنونها بألسنتهم في وقت يتزاحمون فيـه على الغرف من عطائها والاستزادة من خيراتها .. **فالفـرد المؤمن لا تنـال منه حملات الخـذلان ، والمؤمن الملتزم لا تخور عزيمته أمام حملات التشكيك .**

ويتبـع الالتزام بالتنمية سلسلة مـن الاخـلاق الاسلامية ترتبط بمقدرات الامة ، وعلى الامـة واجب احيائها .. وهي الفرق ما بين العمل الناجح الذي يعيد الى النفس ثقتهـا وكبرياءها وذلك الـذي يضعضعها ويفتت من عزيمتها .. ويأتي في المقام الاول من هـذه الاخلاق **التزام الفرد نحو نفسه والتزامه نحو الجماعة** ولا أقصد بالالتزام هنا اشباع القيم المادية للانسان مما يقع في مفهوم المكافأة .. وانمـا أقصد الالتزام الخلقي **بالتعلم والاتقان** الذي يخلق المؤمن المحترف الذي يختزل بمجهوده مشوار التنمية ، ويخفض بأدائه المتقن مـن تكلفتها المادية والاجتماعية .

واسمحو لي أيها الاخوة أن لا أسترسل في وصف المدى العميق للاتقان لكـم ، وتكلفة عـدم الالتزام بـه بالنسبة للفرد والجماعة على السواء .. فمجرد النظر الى ملتصقات حياتنا ، في بيوتنا، ومدارسنا ، وخدماتنا يؤكد أن **الاتقان** أمسى **هدفا في ذاته لا بد أن نتعلمـه ، ونعلمه ،** ما دمنا في سيرة احياء خلق الاسلام والمحافظة على تعاليمه .

ولكي تكتمل الصـورة الرائعـة للخلق الاسلامي القويم الذي يلتزم فيه الفرد بالجهد ، والاتقان .. ينطلق بهما لبناء الحياة وانمائها مستهدفا وجه خالق الحياة، لابد أن نختتم هذه السلسلة من الخلق الاسلامي باليقظة الدائمة التي يفرضها الاسلام على الفرد **لصيانة نتـاج جهـده .**

والمدنية ـ أيها الاخوة ـ انتاج وصيانة .. لاتستقيم فيها عوامل البناء والهدم في وقت واحد ، ولا يسـود السلام مجتمعا يستوي فيه البناؤن والمخربون ، ومن هنا كان « **كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضـه ومالـه** » .

ولقد وددت أن أبدأ في شرح ما نعنيه من الحفاظ على القيم الدينية والاخلاقية الاسلامية بالتأكيد عـلى الالتزام بالجهد والاتقان والصيانة ، لأن **المال الذي بهر العالم وجوده في خزائننا لا يستطيع ان يشتري لنا هذه السلسلة المترابطة من السلوك المثالي** .. وبالتالي فهو لا يكفي لاستعادة حضارة بنيت على أسس أقوى مـن المال ، وكان المال فيما بعـد وسيلة لاثراء معطيات تلك الحضارة لا هدفـا في ذاتـه من أهدافهـا ، وأردت أن أستذكر معكم في الوقت نفسه أنه اذا كانت الاهـداف العامة حقا تستند الى نوعية القيم التاريخية والاخلاقية والسياسية التي يسير على هديها أي بـلد ، فـان في ما سردته مـن الاخـلاق الاسلامية مـا يكفي لانجـاح مسيرة التنمية نحو أهدافها الكبرى .

واسمحوا لي ـ أيها الاخوان ـ أن أنتقل بكم الآن الى **النقطة الثانية** التي اشترطت على كل فرد في بلادنا أن يعيها وهو يدلي بمجهوده في مسيرة «الالف مشوار» والتي تتلخص في أن **الحضارة** التي سنستعيدها باذن الله ، لن تبقى فينا **ما لم نحطها بسياج عظيم من أخلاق العلم والعمل والتعامل** فبالقدر الذي رأينا فيما سبق من الالتزام بالعمل ، والاتقان بالعلم ، تحقيقا لاهداف التنمية نرى فيهما أيضا ضمانا لاستمرارها ، وتجديدا لشبابها ، في عالـم يضيف العلم الى رصيده أحمـالا جديدة في كل ساعة نهار .

وتبقى لنا في هذا الحديث كلمة في « **التعامل** » خشية أن ننسى في غمرة الكد من أجل بناء الحياة أن نحيا الحياة نفسها .. فتتحول الوسيلة الى غاية يجد الانسان منا بموجبها حتما عليه أن يشق لنفسه في كل يوم طريقا بمفرده ، يحقق له كسبا جديدا من قيم الجاه والمال والسلطان ، فيستعبده اجتهاده ويصحو ليجد نفسه يرسف في أغلال من صنعه تحرمه ثمار العمل العظيم الذي يؤديه في بناء بلده ، والاستفادة القصوى من طاقاته .

وحسبنا في هذا المجال من الخلق العظيم أن نتذكر أن الذي خلق الارض قد خلق سماء فوقها .. أمر عبده فيها بقوله : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا** » .

وحسبنا في هذا المجال من الخلق العظيم أيضا أن نتذكر **التكافل** الذي جاء به **الاسلام** فخلق مجتمعا **تتراص لبناته** يشد بعضه بعضا يصفه الرسول الكريم بقوله : « **مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

هذه هي القيم الاخلاقية الاسلامية ـ أيها الاخوة ـ التي نريد أن نحييها لنضمن مسيرة التنمية .. وهي ثروة من تراث أصيل لا داعي لأن نستورده من أحد .. ولا أن نسترشد تعاليمه من أحد .

ومن يهتد بهذا النوع من الخلق لا يخشى ـ أيها الاخوة ـ على تراثه وارثه أن يصطبغ بما يمليه التطور في وسائل العيش وأساليب الحياة ، ولا ما يستورد من علم وآلة ، لأن له من الخلق العظيم مايحميه ويحمي معتقداته .

ولكن كيف بنا نزرع الخلق العظيم في النفوس .. ليتحول من معتقد الى سلوك في الحياة وفي التعامل ؟؟

وكلما دارت الامور حول **السلوك والقيم** برز **الفرد** كعضو أساس في العلاج ، لأن **المجتمع الاسلامي** مبني على **عقيدة ، والعقيدة** أساسا هي في وجدان الانسان لا يعلم صدقها وعمقها الا هو . ولذلك **كان الانسان الحر المتحرر الوجدان هو أساس المجتمع الاسلامي** .. **فرضت** عليه **العبادات** ونصب هو رقيب على أدائها ، لا وساطة بينه وبين الله .. بل الاكثر من ذلك أن **الاسلام** أقامه **حارسا** على **التشريعات** ينفذها ويرعاها ، **وجعل** تنفيذ الكثير منها في ضمانته ، **فالشهادة** هي أساس **اقامة** الحدود **واثبات** الحقوق في كثير من الاحوال .. وهي مسألة مردها الى الضمير الفردي(1) .. ولست أقصد هنا عدم الحاجة الى الوازع الخارجي في سلوك الانسان .. الا أنني أعتقد **أنه بالقدر الذي يعود فيه سلوك الانسان الى وازع من ضميره كان هذا السلوك أعظم أثرا وأبقى** .

وهنا نتلاقى مع موضوع حديثنا الليلة « **البيت أولا** » وهنا تحدد المسئولية الخطيرة التي لا أعتقد أن « البيت » يعي مداها في الوقت **الحاضر** ولا آثارها بالنسبة **للمستقبل** .

ان المدارس والجامعات تستطيع أن تخرج الاطباء والمهندسين ولكنها لا تضمن بالضرورة **حقن الحياة في ضمائرهم** .. ولذلك ودون التقليل من أهمية المدرسة والجامعة ، والسوق ، والنادي ، أو المسجد أو مركز الشرطة ، فاني أقول « **البيت .. أولا** » .

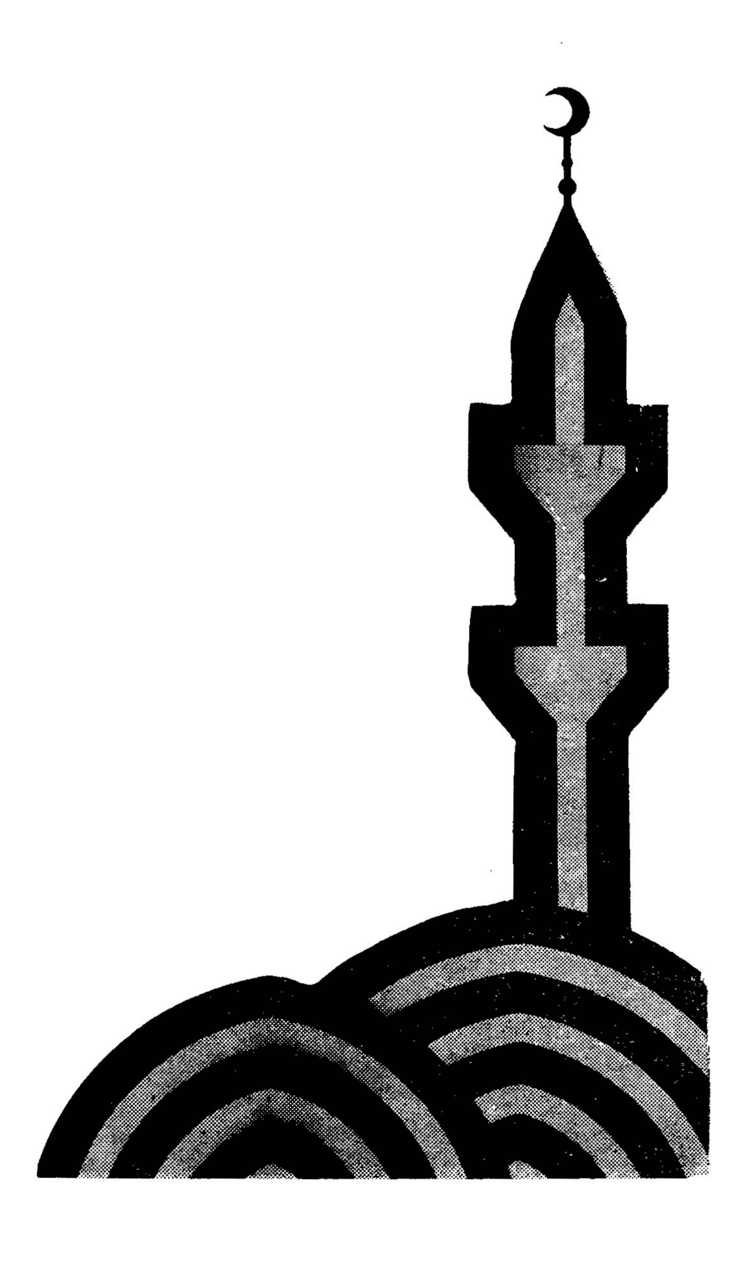
والبيت يأتي في المقام الاول لأن الطفل يتعلم أول ما يتعلم فيه ، وفي السن التي تسمح بتكييفه وصقله صحيح أن عوامل خارجية كثيرة تؤثر في سلوك الانسان كما تؤثر فيه البيئة الاجتماعية ككل . الا أن سلوك الانسان صفة مكتسبة لا موروثة تثبت بالتعود والقدوة والبيت ـ أيها الاخوة ـ **أفضل مكان للتعود والقدوة** .

**والبيت** الذي يعيش **أفراده** في جو من **الانتاج المشوب بحسن الخلق** .. يقبل **العقيدة** دون تجزئة ، **ويمارسها عن ايمان** .. يقدر مسؤوليات **المواطنة** بالقدر الذي يطالب بحقوقها وينقل سلوكه هذا من جيل الى جيل ، نادرا ما يشذ أحد أفراده عن سلوك أجمع عليه اهل البيت الآخرون .

وامة فيها هذا النوع من البيوت لا يمكن ان تفشل ولا يمكن أن يمس الاساسيات فيها ذلك التغيير في أنماط الحياة الناتج عن الدفع بعجلة التنمية .. وفي الوقت نفسه لا تستطيع **حكومة مهما كانت قدراتها ، ومهما حسنت نواياها ، أن تحافظ على قيم أمة** سمحت العائلات فيها بتفتيت هذه **القيم** بين أفرادها .

# صلوات في القدس

غازي طليمات



ما لقلبي ، بين الضلوع تجمد
عقل اليأس ريشه ، فتهاوى
تعتريه الخطوب ، لا يتنزى
ويرى النائبات ، تجلد أرضا
ساورته ، بعد الوجوم طيوف
ينزع النوم من عيوني ، ويذرو
كيف أغفو ، وليل شعبي هموم
قمت من مرقدي ، تسلقت خيطا

هو صقر محنط ، أم جلمد
بين أضلاعي الحنية ، مقعد
فيه قيد ، ولا يثور مقيد
لحمها لحمه ، فلا يتوجد
من ربا القدس موهنا ، فتمرد
في جفوني شوكا ، وحرقة أرمد
جاثمات ، على مآقي سهد
من حرير النجوم ، لا يتجعد

ثم أسريت ، والحنين الى الاقصـ    ـى براقي ، أقوده دون مقود
جاز بي قاسيون ، حتى بدا لي    جبل الشيخ قاتنا ، يتهجد
فيه ما في جهادنا من شموخ    عربي ، ومن رسوخ موطد
وعليه من الدماء وشاح    خضل ، في عمامة الثلج يعقد
من حشا الارض ، حين اصغيت الفيـ    ـت حكايا نضالنا تتردد
في خفوت ، يكاد صمتي يطوي    في غلالاته صداها المشرد
فتهيبتها ، وأجفل مهري    من خشوع ، على المدى يتمدد
ومضى لامع الحوافر ، أنى    لامس الليل ، راح يزرع فرقد
ثم أهوى ، الى تلال غواف    كخراف ، على المراتع هجد
أو حمام ، أوى الى حجر عيسى    او يمام ، قد نام في حضن أحمد
قلت : يا مهري الحرون ، بلغنا    معبد الارض ، فاتئد تتعبد
اهبط الارض لينا ، كشفاه    خفرات ، تمس خدا مورد
ها هنا تغسل الخطايا ، فدعني    وخطاياي ساعة ، أتعمد
قف على النهر ، لا جموحك باق    ان ظمئنا ، ولا بياني مخلد
حال بيني وبين وردي تنيـ    ـن ، يصد الظماء ، أشأم أنكد
لا يرعك الفحيح ، فالشدوآت    من وراء القرون ، لم يتبدد
أهديل ، ام المسيح يصلي    فالروابي مواسم تتجدد
وعلى جبهة البتول هلال    راقد بين شعرها خير مرقد
والضواري خلف المصلى نيوب    حاقدات ، تسل غدرا وتغمد
يا نبي السلام ، صيرنا الخو    ف أسارى ، بأرضنا نستعبد
أكذا يأمر السلام ؟ فنامت    مقلتاه ، وراء أكدر أربد
قال : لنتم مع القساة ، فهتم    ثم هز العصا ، فعادت مهند
شع فوق الجليل ، فالشجر الاخـ    ـضر غاب من الرماح ، تأود
وتوارى خلف السحاب ، فمن لي    بضريح ، فيه مع الخزي ألحد
ياجوادي الوفي ، مل بي الى الاقـ    ـصى ، لعلي من السنى أتزود
فرأيت المحراب ، يعنو ويحنو    قلت : من فيه ؟ قيل : فيه محمد
كيف أرنوله ، وفوق جبيني    طلل ، من هزائم العرب أسود

ذبت من نظرة النبي ، فبعضي    فوق بعضي ، من المهابة يهمد
وتهالكت ، لا حياة ولا مو    ت ، كأني ذبيحة تتفصد
سنة ،بل سنين ، لم اصح الا    وبخور الرهبان يعبق والند
أيقظتني أجراسهم ، وأذان    وحد العرب وقعه ، منذ وحد
فتناهضت ذاهلا ، فاذا النا    س وراء الفاروق يهوون سجد
جاء يكسوه بالجلالة طمر    وبر النوق نسجه ، لا العسجد
تاجه ان كل تاج تهاوى    دون نعليه ، لا هث التبر ، يخمد
ان حبر القدس الجليل اتاه    بمقاليد داره ، فتقلد ..
غير باغ ، ولا مدل عليه    وهو رب البلاد ، لو شاء عربد
ثم جاء الجراد من مغرب الشمـ    ـس ، فعاد الوريق اصفر اجرد
ياصلاح الدين الشعاب تنادي    من يذود الوحوش ، من يتصيد
صاح لبيك ، فالغزاة أكف    ضارعات ، وأضلع تتودد
فعفا عنهم ، وكانوا ضريا    يتحدى ، وفاتكا يتهدد
وأتى الصخرة السبية ، يأسو    فاغرات في جنبها ، لم تضمد
ثم القى الضماد عن عنق المهـ    ـد المدمى ، فآض غير مصفد
هكذا يورق السلام ، فاكرم    بـرواق علـى التسامح يعقد !!
لم تدم نضرة الحياة ، فقد عا    دت هشيما ، على السفوح مبدد
حينما فح في الحقول ــ يهوفا ــ    بأفاع سود الضغائن حسد
تتلوى ، حول المعابد سكرى    بالفجور الغوي ، او تتوعد
اصغ يا مهر ، هل سمعت كما ا    سمع صوتا ، من التراب تصعد
يلعن العاقدين اشرس غل    حول جيد ، من العروبة اجيد
لم يلن ، والحديد يأكل منه    كل شي الا الطماح الممرد
يلعن البائعين بيع السبايا    في فلسطين ام ، عيسى المجد
من يصلون ، والمصلى غريق    في رماد الحريق ، بالعار يشهد
انه خزينا الكبير ، واخزى    منه من ابصر الرماد وعيد
اي عيد ؟ والقدس مبكى كبير    فوق اكبادنا الثكالى مشيد
ياخراف السلام ، من امة العر    ب عناق الذئاب ذل مؤبد ــ
سالمونا ، ام خاصمونا ، غزاة    وفلسطين دارنا والمعبد
علمونا غير الركوع صلاة    ونشيدا غير الضراعة ينشد
ان حب الحياة اشلى علينا    كل شاك ، من الكلاب وادرد
منذ عافت صدورنا الموت صرنا    تتلقاه بالظهور فنحصد

غازي طليمات ــ حمص

# ديوانان

# لنازك الملائكة

## الدكتور احمد مطلوب

قبل ثلاثين عاما وقع بيدي ديوان ــ عاشقة الليل ــ ١٩٤٧ لنازك الملائكة التي كانت اول شاعرة معاصرة اسمع بها ، ولم اكن اعرف يومذاك الا الخنساء التي حفظت قصيدتها في رثاء اخيها صخر . وقد رأيتني اندفع الى الديوان الجديد واحفظ الكثير منه بلا فهم ، واني لي ذلك وانا في اول الطريق ؟ وبعد عامين صدر ديوانها الثاني ــ شظايا ورماد ــ ١٩٤٩ الذي كان ثورة لم آلفها في ديوانها الاول ولا في الشعر الذي قرأته في المدرسة . وصرت منذ تلك الفترة شديد الاعجاب بالشاعرة ومتعصبا لها، وأخذت ــ بعد ان اشتد عودي قليلا ــ اخوض في جدل عنيف مع الذين وجدوا في ــ شظايا ورماد ــ خروجا على المألوف ،ولعل ماسطرته على صفحات الجرائد العراقية كان احد جوانب ذلك الاعجاب والتقدير وكنت بعد ان صدر ــ عاشقة الليل ــ ويوم اجتاحت النقمة بغداد سنة ١٩٤٨ قد بدأت اقرزم الشعر حتى اذا جاء عام ١٩٥٢ نشرت بعض شعري ، ومن ذلك قصيدة ــ الفقر ــ التي نشرتها جريدة النهضة البغدادية وقالت انها لون جديد من الشعر لم يألفه القراء . ويعلم الله انها لم تكن جديدة في خروجها وانم هي من وحي ــ شظايا ورماد ــ وتأثيره ، بل هي ومض من الشرارة التي قدحتها نازك الملائكة وسار على هديه الشعراء . ومرت الاعوام وصدر ديوان ــ قرارة الموج ١٩٥٧ ــ وظل اعجابي بالشاعرة عظيما وبقيت اتابع م تنشر واتتلمذ عليها واعكف على دواوينها وكتبها التي صدرت بعد ذلك وهي : ــ قضايا الشعر المعاصر ـ ١٩٦٢ و شعر علي محمود طه ١٩٦٥ وشجرة القمر ١٩٦٨ ومأساة الحياة واغنية للانسان ١٩٧٠ والتجزيئية في المجتمع العربي ١٩٧٤ ونازك في هذ الدواوين والدراسات شاعرة ناقدة تستشرف افاق بعيدة وترسم حياة ادبية جديدة . وكنت طوال تلك السنوات اريد التبسيط في الحديث عنها ، ولكنني احس دائما بالتهيب الذي اخذ يزداد كلما ازددت قرب منها ، حتى جاء هذا العام ١٩٧٨ يحمل في مطلع ديوانين جديدين لهاهما (( **الصلاة والثورة** ))و (( **يغير الله البحر** )) ،وهما مما قالته في عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ بعد ان توقفت عن الشعر بعد شجرة القمر واخذ الناس

يتساءلون عن سر ذلك التوقف ، وكانت الشاعرة اكثر حيرة منهم ، فقد ظنت ان الشعر غاض معينه حتى كان يوم ١٢-١١-١٩٧٢ فاذا به يتدفق حينما جاءتها بطاقة عيد تحمل صورة لمسجد قبة الصخرة ، واذا بها تكتب على البطاقة :

**ياقبة الصخرة**
**ياوردة ياابتهالة مضيئة الفكره**
**ويا هدى تسبيحة علوية النبره**
**ياصلوات عذبة الاصداء**
**جاشت بها الابهاء**
**ياحرقة المجهول ياتعطش الانسان للسماء**
**يا وله الركوع يا طهره**
**ياوردة الخشوع يا نداه يا عطره**

وتمت القصيدة في الصباح التالي وكانت للصلاة والثورة التي سمت بها الديوان ، لان الصلاة والثورة عندها يمثلان جانبي الانسان الكامل في هذا العصر ، فالصلاة رمز الجانب الروحي فينا ، هي الورود التي تنبت في النفس الانسانية من اثر اتصالها بالمنابع الازلية الجميلة ، منابع الله ، والثورة هي رفض الانسان المكتمل لكل زيف وفساد وعبودية وشر وطغيان وقبح وظلم في الحياة الانسانية . وهذه هي الحقيقة التي ينكرها من اتخذ الزيف سبيلا ، اما الذين منوا بربهم وامتهم فانهم يرون الثورة مرتبطة اشد الارتباط بالصلاة فالانسان الذي يصلي لله صلاة كاملة الابعاد شاسعة التطلعات هو الانسان الذي يعرف الرفض الحق والثورة على كل ما يهين كمال الانسانية ، بل ان الصلاة هي نفسها الثورة :

**متى نصلي ؟ انما صلاتنا انفجار**
**صلاتنا ستطلع النهار**
**تسلح العزل تعلي راية الثوار**
**صلاتنا ستشعل الاعصار**
**ستزرع السلاح والزنبق في القفار**
**تحول اليأس الى انتصار**
**صلاتنا ستنقل الجدب الى اخضرار**
**وتطعم الصغار**
**فاكهة الصمود والاصرار**
**يا قبة الصخرة من صلاتنا سيرتوي اذار**
**وتنبت الرايات والثمار**
**صلاتنا تفجر الانهار**
**وتبعث الغناء والليمون والاحرار**
**تعيدنا للوطن المسروق ، تمحو العار**

وهذا شعر العقيدة النابع من الايمان العميق بالله وبالثورة التي يحملها الاسلام ، والصلاة هنا معادل حي للقيم الثورية ، والقيم الجمالية ، والقيم الانسانية ، وهذا ما ينبغي ان تتجه اليه الامة لتحرر نفسها من اساطير الاولين وتحطم قيود المستعمرين الذين لم يتسللوا اليها الا حينما فقدت مقوماتها وانحرفت عن الطريق القويم . ان قصيدة للصلاة والثورة ، منطلق عظيم اتخذته الشاعرة سبيلا للتحرير والانعتاق ، وهي ترسم صورة حية لمن يريد السير في دروب الحرية ، بل هي معلم نحو ادب اسلامي تفتقر اليه الامة منذ قرون ، وقد شاء الله ان يكون عام ١٩٧٤ بشير خير لانه اعاد الشاعرة المؤمنة الى فنها الحبيب وفجر ينابيع الشعر التي تدفقت تدفقا خصبا ، فكان ديوان للصلاة والثورة الذي جاء تعبيرا صادقا عن احاسيس الشاعرة . ويتسم هذا الديوان بالتجديد في الشكل والمضمون ، فقد فجرت الطاقة الكامنة في – البند – الذي لم يعرفه غير شعراء العراق والخليج العربي في القرن الماضي ونظموا فيه الاخوانيات ، وحاولت ان تعيد هذا الديوان وتضفي عليه مسحة المعاصرة فنظمت – الملكة والبستان – ومزجت بين الرمل والهزج كما كانوا يفعلون وادخلت الوافر فيهما ايضا :

**أرضه تبر واسرار**
**وفيه تثمر النار**
**سيولا من تسابيح وليمون واسلحة وثوار**
**وفيه يدفق الضوء الى قلب العناقيد**
**وتخضل المواعيد**
**تدوس الريح – اذ تعبر في المرج – سجاجيد**
**من العشب الطري**
**انه بستان ثوار وزيتون شذي**
**في ثراه القمري**

**سنديان ونهور وتواريخ قديمة**

**لم تزل فيها غمغمات من تراتيل رخيمة**

**نقلتها شفة الريح والقفى**

**عبرها ليل فلسطين همومه**

**ونداه وغيومه**

ونظمت ــ سبت التحرير ــ في هذا اللون :

**قبل يوم السبت كنا مستذلين**

**وفي اعيننا يبكي ويمطر ليل تشرين**

**وكان الحزن خلف شرود نظرتنا سكاكين**

**تسولنا على اسوار بياراتنا عشنا**

**جياعا تحت نخيلنا المضنى**

**وفوق مشارف الاوهام شيدنا**

**مساكننا وفي اروقة الكلمات خيمنا**

**وفي الحلم ملكناها ، فلسطين**

**وبياراتها كانت لاسرائيل كان لها**

**شذي الزيتون والتين**

**وعطر الرمل كان لها وكانت نكهة الطين**

**وشيعنا جنائزنا وبين قبورنا تهنا**

**مشينا فوق ارصفة اللظى في طور سينين**

**اكلنا الثلج والريح شتاء**

**وصباح السبت اصبحنا ضياء**

**وتوهجنا ، انرنا ليل سيناء الحزين**

**وتفتحنا وردا ورصاصا وغناء**

**شفة الجولان غنتنا وحررنا لواء فلواء**

**من مغانينا السبيه**

**وانتزعنا ارضنا من بين اشداق الذئاب الهمجية**

**انتزعناها من الارهاب من ذل سراديب الطغاة**

**البربرية**

**وجعلنا رملها كحلا لاهداب العيون العربية**

**لم نعد تحت سماها غرباء**

**والدجى عبر صحاري عمرنا الدامي اضاء**

وفي هاتين القصيدتين دلالة واضحة على الطا
التي تحملها الاوزان ويفجرها الايقاع ، ودعوة الى ارتيـ
غابات الشعر وجني ما فيهـــا من ثمر داني القطو
وتلوين الشعر المعاصر بما يظهره مشرقا وضاء ومتفج
معطاء ، وتجديد صوره واشكاله ليعبر عن الحيــ
الجديدة ويستشرف المســتقبل المأمول . ولم تق
الشاعرة عند ــ البند ــ وانما استحدثت وزنا جدي
سمته ــ الموفور ــ وهو ــ مستفعلن فاعلن فاعلن ــ

**خضــراء براقــة مغـدقــة**

**كأنهـــا فلقــة الفستقــة**

**شفاهـهــا شفـق احمـــر**

**كم حاول الورد ان يسرقــه**

**الشعر سبحــان مــن لمــه**

**والصوت سبحان مـن رققـه**

وسرعان ما استجاب الشعراء لهذا الوزن الجد
ورد الدكتور عبده بدوي على هذه القصيدة التي نظم
في ابنته ــ دالية ــ بقصيدة منها :

**كــانــت وراء المنــى وردة**

**وفي ضمـير السـنا سقسقـه**

**وحين زفـت شدا نـورهـــا**

**فهـز ايـامـي المطـرقـة**

وبذلك كانت نازك الملائكة الشاعرة التي لا تقف عل
شكل او غرض وانما تتخطى الزمان والمكان وتبعث
الشعر حياة جديدة ، وهذه سمة الشعراء الكبار .

والفكرة التي تجمع خيوط القصائد هي ـ الصلاة ـ و ـ الثورة ـ اي الايمان بالله ورفض الزيف والفساد والسقوط في مهاوي الرذيلة . وكانت فلسطين محور الديوان ، بل ان معظم القصائد تصب في هذا التيار المتدفق وان كان بعضها يتصل بأهداف اخرى كما في ـ اقوى من القبر ـ التي كانت عن امها الشاعرة رحمها الله :

**بجناحين من حرقة وحنان**
**صوت امي اتى عابقا من وراء الزمان**
**من وراء مدى اللا نهاية من شرفات مكان**
**خلف افق رؤاي وخلف العيان**
**من وراء حطام المزارع من عطش الانسان**
**في سهول فلسطين في ليلها السهران**

والقصائد كلها صادقة في التعبير عن الواقع المؤلم الذي يحياه العرب وكانت ـ عناوين واعلانات في جرائد عربية ـ صورة محزنة للتمزق الذي تعيشه الامة بعد نكبة حزيران ١٩٦٧ واي تعبير افجع من قولها ؟ :

**والعربي لم يزل يصطاف في العام شهورا اربعه**
**منهجه هذا الصباح رحلة نهرية واشرعه**
**والامسيه**
**في مسرح الاوبيرج بين رقصة واغنيه**
**حول الكؤوس المنسيه**
**بين ذراعي بضة مسترخيه**
**دافئة من اجل عينيها تطيب المعصيه**
**جرائد منوعه**
**ما بين حد الحق والباطل تبقى امعه**
**وللعناوين صدى وقرقعه**
**ثم تذوب في ثوان تتلاشى الزوبعه**

ويأتي ديوان ـ يغير الوانه البحر ـ حاملا قصائد ١٩٧٤ ومضيفا بحرا صافيا جديدا تولد من مخلع البسيط ـ مستفعلن فاعلن فعولن ـ ، ومثال هذا الوزن ـ زنابق صوفية للرسول ـ وقد تكررت فيه ـ مستفعلاتن ـ .

**البحر اغماء لحن حب ، البحر زرقه**
**البحر طفل مسترسل الشعر**
**للضحى فوق مقلتيه انكسارة ، رفة وشهقه**
**البحر تلهو عرائس الماء في تراميه الف جوقه**
**يلبسن غيما ينشرن اجنحة من ضباب**
**عرائس البحر ضيعتني**
**زورق شوق هيمان في فضة العباب**
**وصيرتني**
**فراشة الرغو والسحاب**

ولكن الشاعرة كانت تنتقل فيها احيانا من تفعيلة الرجز الى تفعيلة المتقارب ، من غير ان يختل الايقاع ، وقد حدث مثل هذا في قصيدة ـ تمتمات في ساحة الاعدام ـ . فهي تبدأ الشطر بـ ـ مستفعلاتن ـ وتنتهي بـ ـ مفعولن ـ :

**وقلت في لهفة اتوسل : احمد ، احمد**

وحينما عادت الى هذا الوزن عام ١٩٧٥ لم تخرج عنه في ـ نجمة الدم ـ وانما حافظت على ـ مستفعلاتن عبر القصيدة كلها :

**بيروت غابه**
**ومن دماء القتلى على جفنها سحابه**
**اين ترى البحر ؟ كان بالامس هاهنا يا بيروت بحر**
**تكتب امواجه وتمحو وينثر الشذر والغرابه**

وقد استفادت الشاعرة في استخراج هذا الوزن من تفعيلات قصيدة الرصافي التي اولها :

**سمعت شعرا للعندليب**
**تلاه فوق الغصن الرطيب**

**اذ قال ، نفسي الرفيعة**
**لم تهو الا حسن الطبيعة**

ولكنها لم تقف عند ابيات الرصافي التي كانت ترجع الى ـ مخلع البسيط ـ وانما انطلقت منها لتأتي بوزن جديد تتكرر فيه ـ مستفعلاتن ـ .

وتلتقي فكرة ـ يغير الوانه البحر ـ بالديوان السابق ولكن الصور الاسلامية والمعاني الروحية تبرز فيه بوضوح، اي ان الشاعرة بدت فيه اكثر التزاما بعقيدتها السامية وقد اتخذت القرآن الكريم منطلقا لها في التعبير عن ارائها ، ويتجلى ذلك في ـ الماء والبارود ـ وهي من ذكريات حرب اكتوبر ـ تشرين ـ . وكانت الشاعرة قد سمعت ان فرقة من الجيش المصري في سيناء كان افرادها صائمين وحان موعد الافطار وقد نفذ الماء عندهم فراحوا يتضرعون الى الله فجاءت طائرات اسرائيلية وقصفت المعسكر فتفجر الماء من الارض حيث كانت انابيب المياه اليهودية مدفونة . واقرب صورة لهذه الحادثة قصة هاجر وابنها اسماعيل ، فقد وقف النبي ابراهيم عليه السلام في مكة قائلا : ـ ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ـ ، ورزق الله هاجر وولدها بعد محنة عظيمة كما رزق الجنود الصائمين بعد ان كادوا يهلكون عطشا :

**الطفل اسماعيل يبكي عطشا**
**لم يبق في خديه لون وقمر**
**وهدبه يسح ايقاع مطر**
**وغصن جسمه ذوى وارتعشا**
**وانكمش الوجه الوضيء المقمر**
**وفي تراب مكة تبعثر الشعر الجميل الاشقر**
**وقلب امه الحزين برغم منصهر**
**ودمعها على مرايا وجهها ينحدر**
**تهيم في العراء**
**تجتاز سهول النار في ذهولها وتعثر**
**ويكتوي من دمعها المحموم حتى الحجر**
**وسبع مرات سعت والهة بين الصفا والمروه**
**وتارة ينبت جرحا خدها**
**وتارة تسقط ولهى في قرار هوه**

ولكن الماء انبثق من تحت رجل اسماعيل :

**الله اكبر**
**الكون حول الطفل مبهور يكبر**
**عطشان اسماعيل عطشان ولم يعد على العذاب يصبر**
**رجلاه تضربان في حزن تراب مكة بجدبه ومحله**
**وتدفق المياه نشوى عذبه**
**من تحت رجله**
**يسيل جدول برود مسكر من تحت رجله**
**وتصرخ الام : يسيل الماء**
**الماء يا ربي ، يسيل الماء**

وارتوى اسماعيل كما ارتوى الجنود الصائمون من بعد :

**ويشرب الجنود**
**يسقيهمو الله رحيقا نابعا من شفة البارود**
**تحييهمو قنابل اليهود**
**فيرتوي الاحياء**
**ينبعثون من قرار السقم والاغماء**
**حتى الذي صام ومات سوف يصحو موته ويفطر**
**يذوق طعم الماء**
**يغسله الماء من الدماء**
**فيشكر ويشكر**

وفي ذلك ارتباط بالقيم الاسلامية وعودة الى النبع الاصيل الذي ينبغي ان تنهل منه الامة اذا اريد لها ان تحيا حياة حرة كريمة . وليس كالايمان مفجر للحياة وللثورة في هذا العصر الذي انتهكته القيم الجاهلية وعصفت بما فيه ، فاذا به يترنح بين الفوضى والضياع . ان استلهام المعاني الروحية والتمسك بالعقيدة وحب الوطن اسلم طريق وادعى الى القوة والمنعة ، وقد آن لاساطير الاولين ان ينجاب ليلها ويتحطم ضلالها ، ولطلائع الشرك والالحاد ان تندحر ليعيش الانسان في نور يغمر الافاق . ولعل اتجاه نازك الملائكة الى هذه القيم ودعوتها اليها باسلوب شعري رفيع وتمسكها بالامة تغير اتجاه الريح العاتية وتجعلها تسير رخاء في كل مكان .

ويكثر الحديث في ـ يغير الوانه البحر ـ عن الله والشوق اليه ، ويتكرر لفظ ـ مليكي ـ الذي يشير الى الله سبحانه وتعالى ،وهذه دعوة الى الايمان ونبذ الشرك الذي شاع في الشعر المعاصر تقليدا لشعراء اليونان او لدعاة الالحاد .

لقد كانت نازك الملائكة في هذين الديوانين مبدعة كل الابداع ، وقد اضافت الى صرحها معالم يهتدي بها المؤمنون ، لانها عبرت عن ايمانها بالله واخلاصها للامة وحبها للوطن كأحسن ما يكون التعبير ، ولانها اضافت اوزانا جديدة ،وكانت في قصائدها لا تهرب منها القافية بل ترتكز في كثير من الاحيان على روي يشد اجزاء القصيدة ويوحد بينها ويضفي عليها ايقاعا جميلا يفتقده كثير من الشعراء الذي يؤوده سجع الكهان ، ولانها فجرت في الالفاظ معاني جديدة بعد ان كانت في المعجم اميرة نائمة او كما قالت :

**الكلمة**

**في صفحة القاموس مثل وردة ملثمه**
**عطورها خفية مطلسمه**
**الوانها مستورة مثل الظلال المبهمه**
**والكلمه**
**اميرة نائمة مبتسمه**
**اغفت عصورا في انتظار العاشق الامير**
**يأتي من المجهول يصحي الصيف والعبير**
**يوقظ تلك الحلوة المهومه**
**والكلمه**
**حورية غافية منعمه**
**يخرجها الشاعر من عزلتها لآلئا عذرية الاصداف**
**في ابحر بعيدة تائهة الضفاف**
**ينثرها عرائسا مائية في افق مفقود**
**وشرفة مسحورة الاستار لم يسمع بها الوجود**
**تفتح شباكا على عوالم الاطياف**

ومن غير الشاعرة نازك يخرج الكلمات من عزلتها ويبعث فيها الحياة ؟ اليست هي ـ سيدة الشعر العربي المعاصر ـ ؟ .

هذه جولة عابرة في ديوانين جديدين لنازك الملائكة صدرا معا في مطلع هذا العام ، ولن تغني في كشف ما فيهما من قيم نبيلة واهداف سامية ، ويكفي أن تشير الى انهما تعبير صادق عن الايمان بالله والامة والوطن وانهما يمثلان التزام الشاعرة بقضايا امتها ودعوتها الى ـ الصلاة والثورة ـ .

**الدكتور احمد مطلوب**
**جامعة الكويت**

عن مجلة البيان ـ الكويتية ـ



# يداها

عبد الله البردوني

مثلما يبتدىء البيت المقفى
مثلما يلمس منقار السنى
هكذا احسو يديك اصبعا
مثل عنقودين اعيا المجتنى
هذه املي واطرى اختها
هذه اخصب نضجا انني
حلوة تغري باحلى كلها
تلك اصبا تلك انقى انما
انت من اين ؟ كنبضي وتر
صمتت بعد سوآل قرأت

رحلة غيمية تبدو وتخفى
سحرا أرعش عينيه واغفى
اصبعا اطمع لو وزن الفا
اي حباتهما احلى واصفى
تلك اشهى هذه للقب اشفى
ضعت بين العشر لا املك وصفا
هتفت : كلني وصدت وهي لهفى
لم افكران في البستان اجفى
ودنت شيئا أنا من كل منفى
من صداه قصتي حرفا فحرفا




# هند هارون

عماد جنيدي

**١ ـ كيف بدأت حياتك الشعرية .. ما هي الدواعي والدوافع العميقة التي زجت بك في اتون الشعر ؟ وكيف خرجت اول قصيدة هامة من قصائدك الى الوجود ؟**

الشعر ابداع ووحي .. موهبة تنم عن شفافية النفس . تولد مع الانسان .. بل يحس انها ولدت قبله .. بل تجاوزت المكان والزمان . هكذا انطلق أحيانا في اعماق التاريخ ، واشعر انني ماض سحيق وماضي يتفاعل ذرات الم مع الحياة ، ومستقبل ينبثق من الحاضر (١) .

أما كيف بدأت الشعر .. فأظنني قلته مع تعلم الحرف .. الى ان كتبني الشعر حروفا مضيئة .

**اليوم تكتبني الحروف اذا جفا قلمي**

**وتخطني اسطورة للارض .. للامم**

**وتحيل نزف القلب .. حبرا قانيا .. بدمي !!**

لحياتي الشعرية روائز اسرية وقومية واجتماعية .. نشأت بين افراد اسرة تقارع الاستعمار الفرنسي. ناضل افرادها في الثورات كثورة الشيخ صالح العلي وغيرها . وانتقم الفرنسيون من هذه الاسرة فحكم على الاديب منح هارون ـ عمي ـ بالاعدام ، وصادروا

املاك والدي نديم هارون .. وغير ذلك من الوان الاضطهاد .. وكنت اسمع النقاش حول هذه المواضيع دون ان اعي ابعادها .. ولكنني تشربت فكرة الكفاح . واذكر انني اقسمت ان احيي علم بلادي مرفوعا ، وفعلت ذلك في يوم عيد . حيث رددت امام السراي نشيدا حفظناه في المدرسة :

**عش هكذا في علو ايها العلم**

**فاننا بك بعد الله نعتصم**

( ٢ )

وعوقبت من قبل والدتي وعاد ابي ـ رحمه الله ـ يروي قصة الطفلة الثائرة ، ودمعت عيناه عندما علم انها ابنته ـ هند ـ ..

في هذا العام ، مات والدي ، تركنا اطفالا ، وانطبعت نفسي بطابع الخوف من الموت ، واستمرت حتى اليوم ، حيث لم استطع رؤية عمار في لحظاته الاخيرة ..

اول ابيات متعثرة كتبتها على اثر تمزيق اوراق هامة لاخي ـ وعلقة ساخنة منه ـ حيث كتبت لامي المسافرة ، وانا في الثامنة .

**ايا اماه .. ما ذنبي**

**تعالي اسرعي قربي**

**والا قلت للرب**

**ليحميني . من الضرب .**

كنت احس بالقيود تغلني فأريد تمزيقها .. في البيت والمدرسة .. كنت تلميذة ثائرة ، رفضت مرة الاشتراك في استقبال الجنرال ـ ديغول ـ ففصلت مؤقتا من المدرسة ـ مديرتها فرنسية ـ لتحريض الطالبات على التمرد ...

كنت متحمسة لحركات النضال في الوطن العربي .. اكتب واخطىء وزنا وقافية .. ولكنني لا ابالي . كانت كل حركة تحررية تهز كياني الصغير ووعيي النامي المتفتح .. فأنظم الشعر القومي . وفي عام ١٩٥٦ ، نظمت قصيدة ادعو فيها الى التحرر من عبودية الاستعمار . منها :

**حكم العراق اذلة رضخوا**

**للقيد .. يهلك من يقيده**

**أين المليك الطفل روضه**

**ذئب لئيم .. راح يرضعه**

ومنها :

**لبنان امسى اليوم مرتبطا**

**مثل العراق .. تباع عزته**

اما القضية الفلسطينية ، فعشتها الاما وامالا . وكتبت فيها ديوانا كاملا .. بنداء ارضها . باستشهاد ابنائها .. بكل تحولاتها منذ يفاعتي حتى اليوم ..

قلت في ذكرى التقسيم :

**جنات يافا ، طيرها ورياضها**

**في حيرة .. لتغيب الخلان**

**وحقول حيفا خصبة ممراعة**

**لكن تسمر فوقها الثوران**

**لن يحرثا الارض الحبيبة قبلما**

**تطأ الديار قوافل الاركبان**

وقلت في النكسة :

**الف جرح تنتزى في فؤادي والدموع**

**الف جرح كلها تدمى .. على تلك الربوع**

**اين دمعي يغسل الالام .. لكن لا دموع**

**ويح دمعي .. ما له قد غاص من ذل الخضوع**

وتحدثت بلسان الارض التي تنادي ابناءها :

**عبثا العرب على الصغار احبي**

**لاضحكة جذلى .. ولاضوضاء !**

**اقوامهم .. اني اتوق لوقعها**

**اذ تطرب الاعشـاب والحصباء**

وشعرت بحاجة الى منقذ لبلادي فقلت :

**كم رحت اهتف من فؤاد شاد**

**رباه .. هييء منقذا لبلادي..!**

الى ان قلت :

**الشعب ياأسد العروبة حافظ**

**ولانت عدتنـا .. ليوم جـلاد**

**جددت فينـا عزة مضريـــة**

**ورفعت عنا .. ربقة الاصفاد**

والحديث طويل عن شعري القومي .. عن رثاء الشهداء . وربما كان من احلى ما كتبت بعد حـرب ٧٣ رسالة الى حبيب على خط النار منها :

**ارفع جبينك يا حبيبي .. داميا حرا كليما ..**

**واترك شفاهي في اشتياق تلثم الجرح الوسيما ..**

اما ما قلته في الوحدة ، هدف الامة العربية . فأذكر منه على سبيل المثال :

**الوحدة الكبرى .. تبارك من يهلل للعروبة ..**

**وتضم تحت جناحها .. ابناء امتنا الحبيبة ..**

**سيعود شعب القدس جبارا الى الارض السليبة ..الخ**

• • • •

بالنسبة للشعر الوجداني .. كان لي دفتر صغير الوذ اليه ، اصعد فيه زفرات وجد مراهقة .. واجفة من التقاليد .. من الاسرة .. من المجتمع فكنت اكتب خفية احلى اشعاري .. ابث فيها مشاعر بريئة حزينة متسامية . ومن اوائل هذه الزفرات :

**ايها القاسي الا ترعى الوفـــا**

**كم تقلبت علـى ذاك الجفـــا**

**كم قضيت الليل اشكو سهدي**

**وشهاب الليل عني .. قد غفا**

ومن قصيدة اهداء :

**يا صديقي اذا النفوس تعالت**

**ونديمـي اذا غفت اجفانـــي**

**لا تلمني اذا تهيــم حبـــي**

**افلت القيد .. اسلمته اليدان**

**ولعينيك صفت عقدي مريـــدا**

**حبذا العقد .. من قلوب حوان**

وكان العذاب والخوف والكتمان .. عوامـــل خفية في بساطة وصدق هذا الشعر .. وربما احتاج بحثا خاصا .

تسألني يا استاذ عن اول قصيدة هامة مـــن قصائدي .. فأقف حائرة الاهمية في نظري .. الحالة التي اعيشها مع القصيدة .. الانفعال .. انصباب الفكر على الورق .. واظن شعري تطور مراحل يفاعة وشباب ونضوج ..

اما ما تعنيه بالذات فاظنه اول قصيدة اثارت اهتمام الرأي العام . انها : ـ وصية ام ـ القيت في مسابقة شعرية اشتركت فيها المدارس الثانويـــة في لبنان .. حيث تقدم كل مدرسة نصا .. لتحظـــى بالجائزة ـ جائزة الانشاد لافضل نص واحسن القاء ـ وكانت المسابقة تحت اشراف الدكتور اسعد علي ، في

بيروت . وكان رئيس لجنة التحكيم الشاعر الكبير عمر ابا ريشة . ففازت القصيدة بالجائزة الاولى ، مما لفت النظر الى القصيدة وصاحبتها . حيث تحول شعري فيما بعد الى موضوع لرسالة ماجستير ..

**٢ ـ ما هي في رأيك اهم السمات الفنية والفكرية في شعرك ؟ .**

المقياس الفني عندي .. نابع من الاعماق .. هو المعاناة الحقيقية . والتعبير عنها بالصورة الشعرية العفوية ، والبعد عن التقليد دون التقيد بأسلوب معين وتلوين القافية يظهر في شعري بموسيقاه الداخلية والخارجية . واحس عندما اكتب .. انني اعيش عالما ذاتيا خصبا أعيش كل كلمة .. احسها تنزف من جسدي وتنسكب على الورق .. تنبثق عنها متعة نفس معذبة ـ تتمتع بالالم ـ وسمو روحي ونور يبصر بالحقيقة .. حقيقة الحياة التي تجعلها غنية بالعطاء .

النظرة الجمالية في كتابي .. حب مستمد من القلب .. يتفاعل مع مظاهر الطبيعة والفكر الساطع . والمادة الجمالية وسيلة لا غاية ..

الفكر في نظرها هو الجوهر في الاشياء .. يهزني ويرسم اطار الجمال .. في نظري عبير الزهور يطهر الطبيعة ، وزرقة السماء .. صفاء الخالق .

ارتباطي بالارض ، يشدني الى ذرات التراب فيها .. الى عشق اديمها .. الى التغني بالبطولات .. الى الالتحام بالشهداء وقيل عني من اجل هذا : هند هارون شاعرة مناسبات ..

قلت من قصيدة نداء الارض :

**سأحيل ذرات التراب عواصفا**
**هذي العواصف .. ريحها هوجاء**

**سأذيب احجاري قنا عربية**
**لتكون منها الطعنة النجلاء**

الارتباط بالانسان ، مثل وقيم ، هكذا احببته .. في كل مراحل حياتي .. منذ المراهقة حتى اليوم ومنذ ايام وصلتني من الزميل الاديب الاستاذ يوسف عبد الاحد نسخة من مجلة الجيل عام ١٩٥٨ وسميت فيها شاعرة الصوفية ـ .

ارتباطي بالانسان رجولة وابداع .. احب المبدعين .. والابداع اسمى مراتب الذكاء :

**يا مبدع الاشواق في عبقر**
**يا جنتي في الكوكب الازهر**
**يا كل آلامي ومعتقدي**
**يا ملهمي .. يا شاعري الاكبر ..**

وارتباطي بالحب جذور عميقة ، يتحد فيها القرب والبعد .

قلت في قصيدة شوق :

**الشوق .. كيف الشعر من يتقد**
**والوجد في الاعماق يبترد**
**ضدان .. في قلبي صراعهما**
**وكلاهما .. برؤاك يتحد**
**الشوق بعدك نار شعلته**
**والوجد يعلم انك الرغد**
**واحار بينهما اذا التقيا**
**وجحيم قلبى جنة تعد**

ارتباطي بالحب رسالة ..

قلت من قصيدة ـ اتظن انك آسري ـ ..

**ـ وقرأت في عينيك سرا .. رائعا**
**ولمست في جنبيك .. جرح مكابر**
**وشعرت انك للانام رسالة**
**وانا السطور لديك .. فيض الخاطر ـ .**

ارتباطي بالمجتمع .. نزول الى الاكواخ ، ومعايشة المحرومين والبائسين .. وثورة على الظلم الاجتماعي .

قلت من قصيدة : ـ الشاعر الانسان ـ :

**اني اصوغ قصائدي .. من وثبة الشعب الابية**
**من عتمة الاكواخ .. من قيثارة البؤس الشجية**
**من نظرة الفلاح يلقيها على الارض السخية**
**من قبضة العمال .. قد نذروا التجند للقضية**

ارتباطي بالمرأة .. فرح وحزن .. فرح لتكسيرها القيود .. وكنت من اوائل من فعل ذلك .. متحدية مجتمعي الضيق .. ثرت على الحجاب واوقدت بكل بساطة غلالة الوجه الخادعة ، في مدفأة المدرسة ، وكانت ثورة الاسرة وانتصار التمرد .

فرحت لتحرر المرأة ، لتعليمها ، لاقتحامها الجامعة .. وحزنت .. حزنت لانها لم تتحرر .. بقيت عبدة للمظاهر .. ظهرت غانية احيانا ، كما ارادها الرجل منذ ايام هارون الرشيد .. لم تتحرر ذاتها من العبودية .. انا لست ضد انوثتها .. وهذا امر طبيعي .. ولكنني اشفق من التحلل .. واريد لها الحرية الخالقة .. مهما كان عملها وعلمها ..

هذه بعض السمات الفكرية ، في شعري واهمها الارتباط بالارض والانسان .. ان الامومة وهي بيت القصيد في شعري ، وهي التجربة الرهيبة في حياتي فقد اردتني ، يا استاذ عماد ان احدثك عنها مأساة حياة .. وليكن ما تريد . وفيه ما فيه من مزق القلب وعذابات الايام .

**كيف عشت مأساة ـ عمار ـ حياتيا وشعريا .**

---

خفق به القلب ، قبل ان تراه العين .. وكان لي املا مؤلما .. والما مورقا ..

تحدثت عن الامومة ، فتاة عازبا قبل ان انهل من منابعها .. فكان الحديث التقليدي والقصائد الرنانة ، يصفق لها الجمهور ، وتشبع غروري .. في اي حفل ..

وحاولت ان امزج بين الامومة والقومية، متباهية معتزة ، صادقة في احاسيسي الثائرة .

قلت :

**امي تفجر في كياني ثائرا اخشى لهيبه**
**وتمدني بالوحي خلاقا .. وتهديني طيوبه**
**امي .. جمال الفجر .. في ارضي .. ومن امي .. العروبة !!**

ولكن ولادة عمار ـ ١٩٦٠ ـ في العشرين من شباط كان الامومة العجيبة . المتفجرة في كياني .. ينفتح صحة وحياة ونضارة وحيوية مدهشة .. وذكاء متقدا .. احسست ايها الزميل انني ام .. امتلك العالم .. وتساءل الناس هل تستطيع ـ هند ـ ان تتغنى بالامومة كما تغنت بتراب ارضها .. فقلت في عيد ميلاده الاول :

**قالــوا : تحب بلادهـــا**
**وتبثهـــا شـــعرا اثـــير**
**اترى تكـون لطفلهـــا**
**اما .. وتنشد للصغير .. !؟**

الى ان قلت :

**عمار انت لقلبي النعمى .. ودنيا من عبير**
**ان تبتسم خلت الدنا .. لا ظلم فيها .. لا شرور**
**واذا غضبت .. فويح قلبي .. كم يلج .. وكم يثور**

وبدأت احس ان عاطفة الامومة هي سر البقاء في العالم .. سر الحياة الاكبر .. كانت الفكرة تسيطر علي في كل ما اكتب حتى عندما القيت قصيدتي امام الرئيس الراحل عبد الناصر في عيد الوحدة عام ١٩٦١ قلت :

**ناصر العرب في فؤادي رجـاء**
**ان ارى طفلي الحبيب.. وحيدي**
**في غد .. قائدا بجيشك حرا**
**كان ميلاده .. باجمل عيد ..!**

النبض الجديد في حياتي .. غير مقاييس الانسانية في نظري .. وادركت مغزى الحديث الشريف : ــ الجنة تحت اقدام الامهات ــ .

كنت اعيش الضحكة مع عمار .. الصخب والضجيج .. احصت في احدى الليالي جدته لابين كم مرة انحسر عنه الغطاء واعدته فوق جسده الغض وقالت : دسرته ــ هند ــ اربعين مرة في ليلة واحدة

.. ثم اردفت : حرام عليك .. الا تنامين .. ولم تدر ان سعادتي تكمن في تلك الرعاية ..

وشعرت انه القوة التي تمدني بالبقاء :

**علمتني سر الحياة وسحرها**

**فاذا وجودك قوة لبقائي**

**لقنتني معنى الامومة ساميا**

**فاذا عطاؤك .. غالب لعطائي**

فجأة مرض ــ عمار ــ وهو في الرابعة . وذهبنا به الى بيروت .. واكتشفنا الحقيقة المذهلة : ــ عمار مصاب بفقر دم وراثي ــ رغم بعد الصلة بيني وبين زوجي المهندس احمد قريعة .. لكنها مشيئة القدر ..

وبدأت رحلة العذاب الطويل :

**ابحرت رحلة العذاب بزورق**

**سار بين الامواج يطفو ويغرق**

رحلة الخوف واليأس والرجاء .. مرت النوبة الاولى بسلام .. ونجا عمار بمعجزة وبدأ الصراع .. .. مع الموت ..

اتريد يا استاذ عماد ان تعرف كيف عشت ..

آه .. ما اصعب ان تعرف وان تتصور .

**كيف اقوى على الجراح وقلبي**

**مزقا صار .. في الضلوع مرارا ..**

**قسمتني الحزن .. في ظلام الليالي**

**موطني النجم .. حيث اسكن دارا ..**

كنت اتنفس عمار نبضات قلبه المتسارعة تفرق في قلبي .. شحوبه يلون عيني بالحزن .. نضارته تشرق في وجنتي .. اتارجح معه دائما .. وهو ينمو . بفضل الله .. ورعايتي العجيبة .. نسيت العالم . نسيت نفسي .. كنت انانية في امومتي .. كنت قيدا لعمار .. اخاف عليه البرد والحر .. اخاف النوبات القاتلة المتكررة بين الفينة والفينة .. ويشفى .. واتنفس الصعداء ..

ويعود ــ عمار ــ طفلا مرحا .. يشب .. يتغيب عن المدرسة .. ثم يتابع .. ويتفوق دائما ..

تقارير الجامعة الامريكية .. ارسلتها الى كل السفارات وكانت الاجابة واحدة : لا علاج للمرض الوراثي الا نقل الدم .. الحالة غير خطيرة .

وكان الاطباء في بيروت ودمشق يزرعون الامل في صدري .. وانا .. اصدق وارجو الله .. واتوسل ويستجيب ..

احيانا .. اصل الى مرحلة الكفر .. فيتفجر الايمان في صدري .. عندما اصل الى مرحلة الصفر . واليأس والقنوط .. فاستسلم كما قلت في قصيدتي : ــ شاطىء الايمان ــ ..

**رباه .. في قلبي عذاب قاتل**

**انني اليك اسوق بعض عتابي**

**لو لاك مزقت الحياة كلبوة**

**ثأرت من الالم الدفين بناب**

**اني اراك .. وقد نبذت مخاوفي**

**و ــ بشاطىء الايمان ــ حط ركابي**

واخذ البرعم يتفتح وردة ناضرة .. ويصعد مدارج الطفولة بهاء وجمالا .. وكنت ، بقلب الام .. الواجف .. اعتقد انني سأمنحه الحياة .. وقد .. تجاوز مرحلة الخطر ... اجعل من نفسي الفداء واقنع نفسي انه سيزور مخدعي .. لابعد عنه شبح الموت..

**تذكر بني اذا غبت يومـــا**
**واصبحت رهن الردى ثاويه**

**وغيبت بين ضلوع الثـــرى**
**وفي ظل صفصافة باليـــه**

**واغفيت بعـد عراك السنين**
**والقيت رحلي .. على الرابية**

**هنالك حيث التراب الحزين**
**ندي يعل من الساقيـــه**

**ويروي رقاتي بدمع ثخين**
**ويحجب عني الدنا الفانيـــه**

الى ان اقول :

**تذكر وعرج علــى المنحنى**
**والق هنالك .. وردا بهيا**

**واحضر صغيرك عند الشروق**
**لاشعر انك عدت فتيـــا**

**فتسعد روحـــي بلقياكـــا**
**وتسعد .. انت الاثير لديا ..**

هكذا كنت اصعد الخوف .. وادفع الموت ..

ادفعه بشراسة تارة وبالعطاء اخرى .. وبالفداء :

**خذ حياتي نسغ غرس . كي تمد الغرس ريا**
**خذ دمائي .. من وريد .. ضاق عنها .. يابنيا .**
**ملء عيني .. نورها يخبو .. لتبقى مقلتيا**
**ملء قلبي .. نبضه وهن .. لكي يرعاك حيا ...**

وامتلأ عمار نضارة وشبابا .. واهتم بالشهادة الثانوية حيث هيأ اكثر المنهج على يد مدرسيه . في البيت والمدرسة ..

آه .. ما امر الكلمات .. آه .. ما اقسى القدر

ـ مات عمار ـ فجأة وتركني .. خلال ثلاثة ايام ..

اثر نوبة حادة .. غريبة .. شلت الاطباء ..

اجل .. يا استاذ عماد .. بكل جراح العالم .. وآلام الامومة .. رحلت الزهرة الربيعية .. واقيمت في اللاذقية الاف المآتم .. في كل بيت ..

وبعد .. ماذا اقول .. غيبني الاطباء بالتخدير

وبعد .. ماذا اقول .. غيبني الاطباء بالتخدير .. وتوقف قلبي وعاد النبض .. لان المنية لم تحـن .. بعد ..

واستيقظت على الحقيقة الفاجعة .. بالصمت .. ثم الصمود امام مئات المعزين .. صمود الام التي اخذت تعزي الناس بوحيدها ، وتعينهم على الصبر . كنت اخفف وقع المصاب عن الاصدقاء والادباء والاب المفجوع ..

هذه مظاهر امومتي الخارجية .. اما النار فـي

هذه مظاهر امومتي الخارجية .. اما النار فـي قلبي .. فهي اقسى تجربة . عرفتها شاعرة ام ..

عشت شهيدة اربع عشرة سنة .. اصارع الموت الى ان صرعني بسهم يقتلني مع كل نسمة .. اتنفسها واصبت بالشلل الفكري التام .. لمدة شهر ونصف .. ثم انفجرت الكلمات .. لجأت الى معبدي .. الـى غرفة عمار المزدانة بصور المراهقة ، برسومه الخاصة، بالاسطر والكلمات المتناثرة على الزجاج .. على خشب السرير .. الى اشرطته الموسيقية .. الى سريره .. اتدثر بغطائه .. اشم ريحه .. وبـدات اكتب ... اللوحات تحدثني بل تتحدث عنه ... كنت اسمع همسها .. ارى سطورها ، حروفها .. يذوبها المطر على الزجاج ..

تدفق سيل الكلمات .. وصمت الدموع .. وفي دوامة الحزن الكبير .. ذاب شعري المتجمـد .. وكتبت خمسين نشيدا .. يطول الحديث عنهـا .. وسأحاول ايجاز تجربتي الانسانية الفريدة . التـي ولدت ادبا جديدا .

**وعلى الزجاج .. مدامع الغيث الملوع جارية ..**
**تنساب في رفق .. على الكلمات .. ولهي حانيه**
**وتذوب في ذراتها .. تلك الحروف الغاليه ..**

كانت الصور تحدثني ..

**وعلى الجدار .. تلوب .. تدهش .. كل الوان الصور**
**ويكاد ينطقها السؤال .. يكاد يقتلني الخبر**

و ـ عمار ـ كان يحبها
يختارها
ويزين ويزين الجدار بالالوان ـ ..

نظرت الى مغنيه المفضل ـ ديمس روسس ـ الى صوره العديدة .. لمست نظرته الحزينة ، خاطبته بالفرنسية ـ سأرفق القصيدة ـ بصورة لاشعورية رجوته فيها ان يغني لعمار .. ثم تحدثت بلسانه بالعربية :

ـ ويقول روسس في اكتئاب

**رحل الصديق ..**
**ولفني صخب السكون**
**وارى بغرفته الحنون ..**
**ام العذاب وحيدة .. ثكلى ..**

وتقول :

ـ كان يحب صوتك حانيا

كانت شرائطك الاثيرة غالية !!

**عمار كان يحبها**
**واليوم صرت احبها ..**
**لحنا يذكر بالحبيب**
**صخبا بأعماقي .. يغيب**
**ويحول النعمى .. لهيب ـ**

اما سريره الخالي فقد كان ملاذي .
ـ كم رحت ادفن رأسي الولهان .. في ذاك السرير
واشم ريحك يابني . وينتشي موج الاثير ـ
كان مولعا بالسيارات والدراجات يحتفظ بالنماذج العديدة منها : اصبحت كلها الان تتساقط عن الجدران :

**ـ وانسابت السيارة الزرقاء**
**عجلاتها .. اخذت تدور**
**والصمت يقلقه الفتور**
**غابت بكل جمالها الازرق**
**واخذت بين مدامعي اغرق ـ .**

اما الدراجة فكانت ثائرة :

**ـ لا ليس تؤمن بالقدر**
**ـ عمار ـ يقتحم الخطر**
**لا .. لن يموت بموسم الخصب**
**سيقودها بمفارق الدرب**
**هي للشباب مطية الحب ـ ..**

كم يطول الحديث عن عمار .. لم أصف شمائله .. بل تحدثت عن اثاره .. عن بصماته :

ـ ولمحت فوق سريرك الحيران .. فلسفة الحيا

اللوحات كانت تتكلم .. اللوحة الراقصة قلت فيها

**ـ ابني .. ياموج الشباب**
**يا سحر امالي العذاب**
**اليوم .. لوحتك الكبيرة .. اوقفت عرس الحياة ..**
**وتجمدت اقدام كل الراقصين .. وهم اساة**
**نظروا الي يتساءلون .. وقد عجزت عن الثبات**
**واشحت وجهي .. والدموع .. تعلمت .. كل اللغات ـ**

اللوحة الهيبية .. متمردة .. ابصرت بين افراده واحدا رفع سبابته مهددا :

**ـ وتلوح لي سبابة .. رفعت تهدد بالوعيد ..**
**لاتخضعوا .. حرية الانسان احرى ان تسود .ـ**

وتتابع تحرك اللوحة :

**وتحركت صور التمرد .. في غضب**
**ولمحت بركان اللهب ..**
**بين الجموع الراقصين ..**
**عمار يقتلني السؤال**
**وانا اهوم في المحال**
**واكاد اغضب خالقي**

**لكنه يرعى الضعيف**
**بحنانه .. يرعى الضعيف ـ .**

تجربتي .. جديدة .. مريرة .. يطول شرحها .. سماتها المميزة واقعية الحياة،وافكار عمار من خلال الطبيعة والموسيقى والشباب الثائر .

وبعد .. حديث الصور يطول .. ويرسم حياة عمار وآراءه .. اترك الغرفة الحيرى .. حيث اهوي طريحة الفراش ، ثم اعود الى معبدي من جديد .. وتنظر الي الفتيات على الجدار .. كان عمار محط اعجابها :

**ـ قالت فتاة .. تسبر الاغوار .. ترمقني ..**
**يا بضعة من راحل .. بالحب يغمرني**
**طال الغياب . غيابه ..**
**واليوم .. يغلق بابه**
**كانت زيارتك العزاء**
**واليوم .. اشعر بالعناء .. ـ**

اما الجوكوندا .. فكان لها معي حديث غريب : قالت :

**ـ لو ابصر ليونار دمعتك الابية ..**
**وامومة تنساب في العين الذكية**
**وشحوبك المرتاح في الخد**
**وطيوف بسمتك المغلفة الشعاع ..**
**لو ابصر ليونار .. في عينيك اسرار الامومة**
**لغدوت اروع لوحة .. تروي حكايات حميمة ..**

ومن تلك اللوحات فتاة ثائرة :

**ـ من قال : ان الحب مات**
**عمار .. في اعماقنا .. وهج الحياة**
**وربيعه .. متفتح .. في كل آت ـ .**

وماذا بعد يا استاذ ـ عماد ـ لــو رأيت كيف التفت الصور حولي :

**ـ وتحيط بي .. مثل السوار**
**انا بضعة .. من راحل ترك الديار**
**هو نبضي الدفاق .. في ذاك الاوار ـ .**

واتابع جولتي بين الحقول وارى لوحة النخلة في حقل .. ينبت البنفسج على تخومه :

**ـ وتظل ازهار البنفسج .. بسمة بين الحقول**
**وشيا تطرزه النجوم**
**من زرقة البحر العميق .**
**وكأنها اخذت تقول**
**بالحب بالوجه الدفين**
**ـ اين الرفيق ؟؟!**
**وتململت في الحقل .. عند السفح نخله**
**تصغي الى همس البنفسج في حنان :**
**ـ ما زلت في ادراك سر الكون طفله .**
**ان الرفيق .. تفتح الحقل البديع**
**وجمال نيسان الربيع**
**هو في الحروف .. مساكب .. في قلب شاعره**
**بل دمعة الكسير الحزين .. بعين محزون مكابره ـ .**

ما هي الاضافات الفنية التي اضفتيها الى شعر المراثي ؟

تسألني ايها الزميل الناقد ، عن هذه الاضافات انت القادر على استنباطها .. فانا اعيش المأساة ، وغير قادرة على التحليل .. لكنني احس انني تحدثت بكل لغات الامومة .. عشت عمار .. يوما يوما .. وما زلت اعيشه ، في كلماته .. أفكاره وطفولته .. نزواته .. كنت صديقته مربيته وامه .. خرجت في رثائه عن كل مألوف .. ليس فقط معنى ومبنى بـل لغة وحروفا كتبت عنه بالفرنسية ، عندما خاطبت ـ ديمس روسس ـ مغنيه المفضل ـ سأرفق نسخة من القصيدة ـ .

**هل يمكن اعطاء فكرة موسعة عـــن شخصية عمار في شعرك من طفولته حتـى شبابه ؟**

---

طفولة ماتعة .. وصحة ناضرة .. وملامح ذكاء مثير .. هكذا بدأت تتفتح الزهرة الربيعية . . برعما غضا .. ينشد العبير :

**ـ في ناظرتك توقدت شعل النبوغ سنا ونور**
**وعلى الجبين .. تألق الفجر المضمخ . بالعطور ـ .**

وتدرج عمار .. على سلم الحياة .. تنتابه نوبات متباعدة .. لكن مرح الطفولة .. يتغلب عليها :

**وينهض طفلي .. جديد القوى ..**
**تحييه شمس الصباح المنيرة ـ ..**

لم يكن متشائما . كان يأخذ من الحياة اكبر نصيب ويحس انه السيد المطاع .. رغباته اوامر يستغل هذه الناحية .. كان يغمر بالهدايا من الاهل والاصحاب .. انيقا الى درجة المبالغة .. رشيقا .. ممتلئا حيوية .. وباختصار .. كان ـ سيدا صغيرا ـ ولكنه بالنسبة لما الم به من اخطار .. كان اكبر من الالم .. ناضجا ....

**ماذا يخفف من لواذع لوعتي**
**اماه .. هل يخبو .. مضيء شهابي**

وكان يتوق الى اللعب مع الرفاق :

**ان الرفاق ببشرهم .. بحبورهم**
**اني اتوق لصحبة الاتراب**

**اني اتوق لجمعهم .. لضجيجهم**
**ما بين خلان .. وبين غضاب**

**واتوق للكرة الحبيبة بينهـــم**
**تعلو وتهبط في فسيح رحاب ...!!**

كان يداوم في مدرسته .. وينقطع عنها .. ولكنه يتابع الدراسة بثقة وذكاء ، ونفسية متحفزة .. وامل مستمر من قبله .. وخوف قاتل من قبلي .. يهزأ من مخاوفي .. ويحبني الى درجة التعلق الغريب .. مزق مرة دفترا فيه قصيدة وصية ام .. لانـي طلبت ان يزور لحدي .. وبكى وهو يقرأ قصيدة ـ ياوحيدي ـ عندما قدمت له حياتي ونور عيني :

**خذ حياتي نسغ غرس كي تمد الغرس ريا**
**خذ دمائي .. من وريد ضاق عنها يابنيا**
**ملء عيني .. نورها يخبو .. لتبقى مقلتيا ـ..**

كان دائما بين الاوائل .. كانت روحه اجتماعية رفاقه من مختلف الطبقات بيتنا ناد للرفاق كنت انا ـ النادل ـ الذي يقدم الخدمات .

كان يملك ناصية النكتة الظريفة .. ويتعالى ضحك الصحاب .. فأقفل باب غرفتي واصم اذني .

**ـ ضحكاتك الجذلى توارت بين انات السحاب**
**ونكاتك العذراء غابت .. بين ذرات التراب**

ومن قصيدتي في عيد ميلاده الثامن عشر وبعد رحيله بثلاثة اشهر ـ ..

**ـ لا ضجيج اليوم .. في بيتي .. ولا الافراح عندي**
**ومواكب الاصحاب ، كان القول في اخذ ورد**
**صخب .. يحلو .. يندى .. في دعابات التحدي**
**موكب الاصحاب عرس .. كيف احيي العرس وحدي .**

شب عمار رجلا وهو في السابعة عشر .. يقرأ .. ويناقش .. يتحدث بالسياسة والاقتصاد والحب بكل ثورة المراهق وعنفوانها .

ومن نقاشه لسائح اجنبي ، اراد ان يثبت له عمار ان فلسطين للعرب قلت :

**ـ وافقت من نوم عميق**
**وسألته .. يا للسؤال**
**واجابني : نامي .. فقد طال الجدل**
**لا بد من اقناعه .. اين الخطل**
**هذا الفتى الغر الدخيل**
**ايسوح في ارض العرب**
**ويظننا شعب الغباء ..**
**لا .. لن يكون له الغلب ..**
**وتثاءب الليل الطويل .. !!**

كنت دائما محط ثقته .. يروي لي مغامراته الصغيرة واتلقاها بمرح ورحابة صدر ، موجهة حينا ..مداعبة اخرى .. مع تحذير ضمني .. فكان يضحك قائلا : ـ لا تخافي انا اعرف ما افعل ـ .. هن اللاتي يلاحقنني .. وفعلا كان رنين الهاتف متواصلا في طلب عمار .. وسامته .. قامته الرشيقة حديثه العذب كل هذا .. كان محط الاعجاب :

**ولست بين مدامعي تنثر**
**بين الجداول شعره الاشقر**
**والريح تعبث والاثير**
**بمنابع الشعر الغزير ــ ..**

وهؤلاء المعجبات اتمثلهن في اللوحات علــــى الجدارن :

**ــ اليوم يتشح الجمال بثوبه الازرق**
**بالورد .. بالزنبق**
**من كل فاتنة .. تلوح على الجدار**
**بدموعها تغرق ــ ..**

الى ان اقول :

**ــ يبكي الجمال ويورق الالم**
**يبكي الجمال .. الفارس الاشقر**
**والفل والعنبر**
**وفتوة تزهر بالخصب**
**بموارد الحب ــ .**

كان عمار يصارع الاقدار .. كان يقول لــــي احيانا : ــ امي .. لن اعيش طويلا دعيني انعم بالحياة. وكنت احسني عندئذ طفلته اليتيمة .. بينما كلماتي تنساب رفيقة معنفة .. كان يعلم ان مرضه وراثــــي ويتساءل : ــ السر من التقائكما انت ووالدي ويثور :

**ــ لماذا اختارني القدر**
**كأني وحدي الوطر**
**لماذا انت يا امي**
**زرعت الحب للناس**
**بحقل الورد والآس**
**وعشت رهينة الغم .**
**لماذا والدي يشقى**
**لماذا .. انتما .. همي ؟؟ !**

وماذا باستطاعتي ان افعل امام القدر .. انا .. طفلة الالام .. ؟؟

**يا وحيدي . لم اعد اما بدنياك الجديدة**
**انني طفلتك الحيرى .. بأخطائي العديدة ــ .**

بدأت أحسه اكبر مني .. سنا وتفكيرا . كان يشفق على كل معذب يحتضن رفاقــه .. بصمت . يأخذ مني ويعطي .. ويحل مشاكل رفاقه ..

كان يرعى رفيقين ويتناول طعامه معهما في البيت ويدرسان عنده فأقول :

ــ ماما .. هذان ليسا في صفك ــ فيهمس قائلا:
ــ ولكن جو البيت ، لا يهيىء لهما الدرس ولا حتى الغذاء ــ .

فيزداد في نظري اكبارا ..

كان يحب اباه .. ويتمنى ان يغير والده مــــن طريقة حياته .. من مشقة الحياة .. يختلف معه في الرأي ولكنه يحترمه . ويمازحه احيانا :

ــ بابا .. نحن شباب .. الم تكن مراهقا مثلنا عد لى ايام شبابك وتذكر ــ .. ويضحكان معا .

وفعلا بدأ الوالد المهندس احمد قريعة ـــ يجعل نفسه موضع ثقة عمار ..

كانت نظرته بعيدة في كل الامور .. اصحابــــه من مختلف الطبقات والاعمار .. مفكر مع الكبار .. صاحب مع الاصحاب طفل مع الاطفال ..

كان يواجهنا احيانا فاذا ابدينا ملاحظة له امام اي انسان غريب يقول : الخطأ لا يصلح بخطأ اخر .. كان يحترم نفسه .. ويفرض احترامه ..

في الصيف .. يقضي الوقت على الشاطـــىء الازرق .. يصاحب حتى صيادي الاسماك والبحارة .

**ـ ويلوح الملاح . عد بعد**
**وتحية من واثق العهد**
**ـ عمار .. هيا .. نحن في الزورق**
**قفزاته .. فوق السياج**
**والبحــر معتكــر المزاج**
**وهنا تصيح امومتي وجلى ..**
**يرنو الي بنظرة جذلى ..**
**ـ اماه ... انت جبانة .. لا تجزعي .**
**واذا بنظرته الحبيبة تسعد القلبا ..**
**وتمدنــــي .. حبـــا ..**
**عمار كان تواضعا .. بين الرفاق**
**كـــل الرفـــاق**
**هذا يمد شباكه قرب الخليج**
**يدعوه .. في الصبح البهيج**
**يتناولا الشاي في حب حميم**
**يتبادلان الود يحيا .. في الصميم ـ ..**

ادراكه .. وتحليله للامور تجاوز سنه :

**ـ عمار .. ياموسوعة الفهم**
**كم كنت اصغي للنقاش بجلسة العلم**
**كنت الملم بجل افكار الثقات**
**ومنابع الفكر الذكي المشرق**
**ما كنت اعتقد الممات ..**
**درب الصبا المتألق**
**كنت التطلع للغد الامثل**
**كنت الطموح .. لعالم افضل .. ـ**

هل امهلت الحياة عمار .. ليحتل مكانته .. آه .. ما اقسى الموت .. رحل عن الدنيا .. ربيعا ... وبقي .. في صدري وعيني دموعا ..

**بماذا تتميزين عن شعر المرأة العربية .. وبماذا تلتقين ؟؟**

اظن الالم يصهر النفوس الشفافة .. والشعر شفافية النفوس .. التقي مع شعر المرأة العربيـــة بالحزن والحب .. فالحزن ظاهرة تجدر دراستها في الشعر النسائي . والحب يبقى .. تراتيل القلوب ..

ولكنني .. في امومتي .. فريدة التجربة .. .. عشت اكثر مما كتبت واقعية المي .. عمق امومتي .. تأرجحي بين اليأس والرجاء .. جعلت مني جبـــلا يتفتت رويدا رويدا .. ودما ينزف على الورق ... كلماتي .. لم تعد خيال شاعر .. بل مدى .. تذبحني .. ثم تحولني وترا عجيبا ..

هناك نزعة صوفية .. لذت بها لاسباب ، منها ما يذكر .. ومنها مالا يذكر . كانت منجاة لي في حياتي الخاصة .. وفي امومتي المعذبة .. اصعد بها الامي بالايمان .. واحضن بها ذاتي .. من الاهواء .. وقـد سميت شاعرة الصوفية .. منذ كنت غضة الاهاب ١٩٥٨ :

**واراه .. ما احلى رؤاه**
**واحس اني في سماه**
**كشف الالـــه بصيرتـــي**
**ولمحتـــه يهدي خطـاه**
**وامدني بالنور بالايمان**
**دفقـــا .. من سناه**
**عطف الالـه على فؤادي الغض**
**ينبض .. في سراه ..**
**مسح الدموع بناظري ..**
**وقد تالق ناظراه ..**

الغنائية في شعري الوجداني موسيقى تعـزف برفق على الاوتار .. وتحكي حكاية الحياة .. ـ كما في رحلة عذاب ـ و ـ حوار الجراح ـ .

---

(١) يمكن العودة الى ملحمة ـ عوالم قديمة ـ .

# خمس رسائل متبادلة بين

# ابي العلاء المعري

# وداعي دعاة الفاطميين

## ومسح شامل لاسلامه ومذهبه

مصطفى الخش

مثلما يفاخر الانجليز بـ ـ شكسبير ـ والالمان بـ ـ غوته ـ والطليان بـ ـ دانتي ـ فان العرب يشمخون بابي العلاء المعري ـ الذي اخذ عنه كل من دانتي وغوته ومعهما الكاتب الانجليزي اديسون في قصته ـ الحياة الازلية ـ وذلك فيما جاء برسالته ـ الغفران ـ وصفا للاخرة ، حيث الجنة والجحيم .

ومثلما شغل ابو الطيب المتنبي الناس وملأ الدنيا ، فان أبا العلاء شغل الناس وملأ الدنيا اكثر فأكثر .. ولا غرو فكلاهما ينهلان من معين غدق واحد هو معين الاسلام مجسدا بالمذهب الاسماعيلي الذي انبجس عن الفلسفة الاسلامية التي نهل منها المستشرقون ما نهلوا ، حتى انهم ادركوا كنه الاسلام جوهره ومعدنه فاحنوا له رؤوسهم وتلقفوه بالاعجاب، وكالوا له المديح ، وحتى لقد قال قائل منهم : ما عرفت الفلسفة الاسلامية لو لا الفلسفة الاسماعيلية . وعن هذه الاخيرة قال الدكتور عادل العوا عميد كلية الاداب بجامعة دمشق : ـ انها لبنة ثقافية رئيسية ـ.

واصحاب الفضل في ذلك هم النوابغ الاسماعيليون امثال مؤلفي رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، وابي العلاء والمتنبي بالاضافة الى مؤلفات ابن سيناء في ـ طب الاجسام ـ واحمد حميد الدين الكرماني في ـ طب الارواح ـ والتجتاني وابي حنيفة النعمان بن حيون التميمي في ـ فلسفة الاديان ـ ومحي الدين بن عربي والحسين بن منصور الحلاج في ـ فلسفة التصوف ومشتقاته ـ الخ الخ ..

واذا ما اجمع العلماء — وفيهم المستشرقون — ان التاريخين العربي والاسلامي — وهما كل لا يتجزأ قد شابهما الكثير من التزوير والتزييف والتحريف — بفعل العصبيات والاهواء المتضاربة ، فحرى بنا — نحن الوارثين ان نجهر بالصدق فنسعى وراء الحقيقة ونضع النقاط على الحروف . ومن حسن الطالع ان النية متجهة الى هذا المضمار . وعسى ان يقرن القول بالفعل عما قريب ! . .

## — حياة ابي العلاء —

ولا اتعدى الموضوع ، فان ابا العلاء — ٩٧٩ — ١٠٥٨ م — من عائلة عربية كريمة ، ابصر النور في بلدة معرة النعمان ، على بعد ثمانين كيلو متر من حلب ، في السادس والعشرين من كانون الاول ، صبيحة يوم جمعة وتوفي يوم جمعة في العشرين من ايار ! سماه ابوه احمد . وقد عصفت به يد القدر بالعمى وهو في الرابعة فلم يذكر من الالوان الا الاحمر حيث البس لما مرض بالجدري ثوبا معصفرا . ظهرت عليه علائم النبوغ منذ كان صغيرا . تلقى عن ابيه قواعد اللغة واصول الصرف والنحو ثم شد رحله الى حلب فاستوعب ما ضمته مكتباتها ودرس على علمائها . ولم تثنه الحرب الدائرة بين سيف الدولة والبيزنطيين فسافر الى انطاكية حيث الم بمكتباتها واختلف الى علمائها . ولما قضى منها وطرا توجه الى اللاذقية ثم الى طرابلس الشام للغاية نفسها . ثم قفل عائدا الى بلدته ، وقد نال قسطا وفيرا من علوم عصره .

فجعل يتعلم ويعلم ، ما وعته حافظته العجيبة ، من افانين العلوم والفنون .

وقد قلب له الدهر ظهر المجن ، تارة اخرى ،

فابتلاه بالحزن على وفاة ابيه الذي كان له الصديق والمعيل وقد عاش في كنفه عيشة راضية مرضية . وبعد ان كان طيب المعشر فكه الحديث اصبح برما بنفسه وبالناس من حوله ، لولا ان والدته كانت له خير العزاء ، يشم عطر الدنيا من انفاسها ولا يطيب نفسا الا اذا كانت بقربه وعلى الرغم من العاطفة الجياشه التي احتواها قلبه لامه فان نفسه الكبيرة هفت الى بغداد — قاعدة الخلافة وموئل العلم والمعرفة — . وباذن من امه غذ السير اليها في السنة السابعة بعد الالف للميلاد واقام فيها سنة وسبعة اشهر . ولم يلبث ان ذاع صيته وعلا مقامه . وكان مقررا ان يمكث فيها طويلا ، لو لا ان الانباء حملت اليه خبر مرض والدته ، فلما خف اليها كانت قد فارقت الحياة .

وعندئذ مال به الحزن الشديد الى التشاؤم الذي تبدت اثاره في جمع مؤلفاته واشعاره ورسائله وفضلا عن اهتمامه بالصراع الفكري في عصره ، ومناداته بالتحرر فقد سمى نفسه رهين المجسين للزوم بيته وذهاب بصره . وقبع في منزله اربعين عاما ، لا يأكل اللحوم والالبان ومشتقاتها . اكثر طعامه العدس والتين . ولكنه كان كثير العطاء ، فلم يبخل بعلمه ، اذ كان بيته كعبة القاصدين من رواد المعرفة والعلم .

## — عقيدة ابي العلاء —

وصفه العميد الدكتور طه حسين فقال : — انه صورة الرجل المؤمن باله حكيم ، المضطرب فيما عدا ذلك من الامر — وخاطب مارون عبود اصدقاءه في كتابه — زوبعة الدهور — : — اذا لم تشاؤا ان يكون المعري فاطميا قلنا لكم ان الفاطميين علائيون فشيخ المعرة لم يقل الشعر حبا بالنظم ، كما ظننتم ، ولكنه يؤيد مذهب ، ويضع اصول طريقته في شعره ، وهو ابعد أثرا في الحكمة والدين منه في الشعر والادب — .

وايمانه بالله كان مثار جدل كبير مايزال قائما حتى يومنا . . ومع ان كتبه واشعاره تفيض بالنفس الاسلامي النقي ، الا ان احدا لم يفطن الى مذهبه الاسماعيلي في التأويل . وليس اصطناعه الالغاز لاخفاء اغراضه على كثير ممن يتناولون كتابه : — اللزوميات او لزوم مالا يلزم — يخاف على الذين يعتقدون معتقده — على حد قول الدكتور طه حسين — ومن غير اللائق ان يلصق به : — انه كان لو عمي امر كتابه على المتشردين في الدين حتى لا يتخذوه وسيلة لهدر دمه — على حد تعبير عمر ابو النصر — فابو العلاء مفكر حر التفكير

وهيهات ان يخشى في الحق لومة لائم ! وقد التزم بكل ما قاله . ولم يكن ابدا من اولئك الذين يقولون مالا يفعلون . بل لقد طابق قوله فعله ، فكان بذلك نسيج وحده ثم انه محب للموت لاكاره له . وقد اعرض عن دنياه وهنا الى اخرته . مصداق ذلك بيته القائل :

**تعب كلها الحياة فما اعجب**

**الا من راغب في ازديـــاد**

ولعل من الخطل ان يدرس الدارسون ابا العلاء، بغير ان يتعرفوا الى مذهبه ، كي يفقهوا قوله ويكتنهوا الغازه ليكلا يختلف في حقيقته المختلفون . انصع دليل على صحة اسلامه ، ما قاله ، وهو مريض مـــرض الموت : ـ اشهد اللــه الذي باذنه نشأت السماوات والارض اني مقر بالقدرة على الرجعة والخوف مــن الاخرة .

احافظ على صلاتي واصوم ، واعتصم لعلـي معصوم .. ـ (١) . وطبيعي ان اعتصامه بعلي معصوم ينطبق على معتقد الاسماعيليين بأن لكل زمان اماما وان عليا ـ عليه السلام ـ كان امام زمانه.وتبعه الائمةمن نسله ، وكلهم معصومون ولكنهم لا يرقون درجـــة النبوة ، ولو انهم يشتركون معها بالعصمة. هذا وليس بالاسماعيلي من لا يقر بامامة علي امير المؤمنـــين تماما كما يقر بنبوة محمد صلى اللـه عليه وسلم .

وشهد على ذلك شاهد من اهله ، وهو المؤيد في الدين ، ابو نصر بن ابي عمران داعي دعاة الفاطميين ـ ـ احد كبار علماء المسلمين في عصره ـ اذ اشار الـى ابي العلاء : ـ ولست مفضلا عنه في دنيا ولا دين ـ(٢). وان لفي هذه الشهادة فصل الخطاب .

## ـ الرسائل الخمس ـ

في السنة التي توفي فيها ابو العلاء ، جاء حلب ، قادما من مصر ، المؤيد في الدين ، داعي الدعـاة ، في جولة رعوية لتفقد اتباع المذهب الاسماعيلي وكانـوا منتشرين في مدينة حلب وضواحيها : معرة النعمان ، جبل الزاوية ، سرمين ، الباب .. وكان صيت ابـي العلاء يدوي في الافـــاق ، فرغب اليه تفسير البيت القائل :

**غدوت مريض العقل والدين فالقني**

**لتسمع انبـــاء الامـور الصحـائح**

مشيرا الى انكاره اجتناباللحوم والالبان وداعيا الى تبيان الحجة ايثاره هذا النوع من الزهادة . وقد تجاريا في رسالتين لكل منهما ، مجاراة الند في مخاطبة الند ـ مما يبرهن على ان ابا العلاء كان في قمة الدعوة ـ وكانت الرسالة الخامسة بقلم داعي الدعاة لولا ان ابا العلاء لم يجب عليها لانه كان قد فارق الحياة .

والجدير بالذكر ان ياقوت الحموي قد اختصر هذه الرسائل في ـ معجم الادباء ـ وهي موجودة في خزانة ليدن ـ ١ ـ ٢٩٦ ـ كما ان نسخة منها موجودة في خزانة كتب المغفور له احمد تيمور باشا ، وقـــد وقد نقلها عننسخة كتبت سنة ٦٢٠ هـ وبتوصيةمن الشيخ عبد الرحمن قراعة ـ مفتي الديار المصرية بادر الكاتب المعروف محب الدين الخطيب الى نشرهـــا بواسطة المطبعة السلفية عام ١٣٤٩ هـ .

وهذه الرسائل تحوي في جملتها طرازا متميزا من ادب المراسلات فكلاهما فرسا رهان ويجريـــان لغاية واحدة . ناهيك عن ان كلا منهما يخفض جناح الذلة من المسكنة للاخر . على ان داعي الدعاة بتواضعه الجم ـ لا يحيد قيد انملة عن مرتبة القيادية ، كراع ازاء احد ابناء رعيته في حين ان ابا العلاء يسلك سلوك الابن البار بابيه ، فلا يألو جهـدا عن تمجيد داعـــي الدعاة ، ما وسعه التمجيد فهو ـ العبـــد الضعيف العاجز ـ وداعي الدعاة ـ سيدنا الرئيسي الاجل ـ ـ ادام اللـه بقاءه وادام علاءه ولا زال مفحما للمخالف وناصرا للموالي المؤلف ـ و ـ جمل اللـه الحكمـــة ببقائه ولا برح كوكبا يفزع اليه الحائر ونورا يهتدي به الساري والسائر .

بخضوع ايما خضوع يعد داعي الدعاة ــ ممن ورث حكمة الانبياء ويعد نفسه الخاطئة من الاغبياء ــ ومن انا ــ والكلام لابي العلاء حتى يكتب الي ؟ مثله في ذلك مثل الثريا الطالعة كتبت الى الثرى وهو لا يسمع ولا يرى ... ــ .

ويهل رسالته الجوابية الثانية في الاعتراف بجهله والاقرار بحيرته ازاء ــ سيدنا الرئيسي الاجل ، عصمة المؤمنين . هدى الله الامم بهدايته ، وسلك بهم طريق الخير على يده وضوأ الله الظلم ببصيرته واذهب شكوك الافئدة برأيه ــ و ــ سيدنا الرئيسي الاجل صاحب ورع ودين وهداية ينتفع بها المهتدون ــ و ــ من استرشد بسيدنا الرئيس الاجل اجزل الله حظ الاسلام بداوم ايامه كان كطالب الذهب من معدنه وبختتم رسالته بالقول : ــ لو ناظر ارسطاطاليس لبحارا ان يفحمه ، وافلاطون لنبذ حججه خلفه ، والله يجمل بحياته الشريعة وينصر بحجته الملة ــ .

ولم يكن داعي الدعاة اقل تواضعا . وكان دائما في مستوى ابي العلاء ، سواء في الفكر او البلاغة في التعبير ، اذ كان يسوق السؤال تلو السؤال ويدحض الحجة تلو الحجة في استنكار اكل اللحوم والالبان بل ويحضه على اكلها ، حرصا على صحته . كما انه نهاه عن السجع لعلة انها شح في المعاني .

ولئن لم يتخل عن صفته الدينية ــ كونه داعي الدعاة ــ ومن حقه ان يمحض النصح اللذين يواكبون مذهبه ــ ومنهم ابو العلاء نفسه ــ . وعلى الرغم من الحجج القاطعة التي قدمها ابو العلاء بين يديه ، فانه لم يتراجع ابدا عن توجيه اللوم ، بمعنى انه كان يصدر الاوامر ويطلب اليه تنفيذها كما انه شجب كل البراهين التي عرضها ابو العلاء ، على انه اصبغ عليه صفة ــ الشيخ ــ تدليلا على علو كعبه في معارج الدين . وكان تواقا ان يمنحه البركة . وان يدعو له بحسن التوفيق ودوام السلامة ودوام التأييد .

ولقد راودته الشفقة عليه ، في رسالته الاخيرة التي وردت الى المعرة بعد وفاة نابغتها العظيم ، فارسل الصوت جهوريا بانه غير مفضل عن ابي العلاء في دنيا او دين وانه ــ شاد راحلته اليه لاستفادة ان ورد موردها او صادف منهلا او علا قابلها بالشكر لنعمته والاسجال عن نفسه بسيادته ــ وقد بلغ هذ الاطناب ذروته ، في الختام ، فما يبغي ــ غير الاستفادة من علمه والاغتراف من بحره ــ .

والخلاصة فان ابا العلاء كان قابضا على دينه كالقابض على الجمر ، حتى في حالة مرض الموت ، اذ تبرأ من الالحاد واعتكف للصلاة والصوم ــ وقد عجز عن الصلاة قائما وانما يصلي قاعدا ــ لعلة انه ــ لم يبق فيه بقية لان يسأل ولا ان يجيب لان اعضاءه متخاذلة ــ .

ولكنه ــ وهو على هذا الحال ــ لم يفقد ذاكرته العجيبة ، فقارع الدعاة الحجة بالحجة ، مشيرا الى ارتضاء الرسول الاعظم وصاحبه الامين علي بن ابي طالب خشونة العيش .

واعجب العجب انه سرد كثيرا من الشواهد من ابيات الشعراء : المتنبي ، والاعشى ولبيد والنابغة الذبياني والاسدي وزهير بن ابي سلمى وثعلبة بن صعير المازني وغيرهم ، مما يبرهن على وعيه التام عندما حضرته الوفاة ، في تسليم منقطع النظير للقضاء والقدر وبايمان غير مستريب .

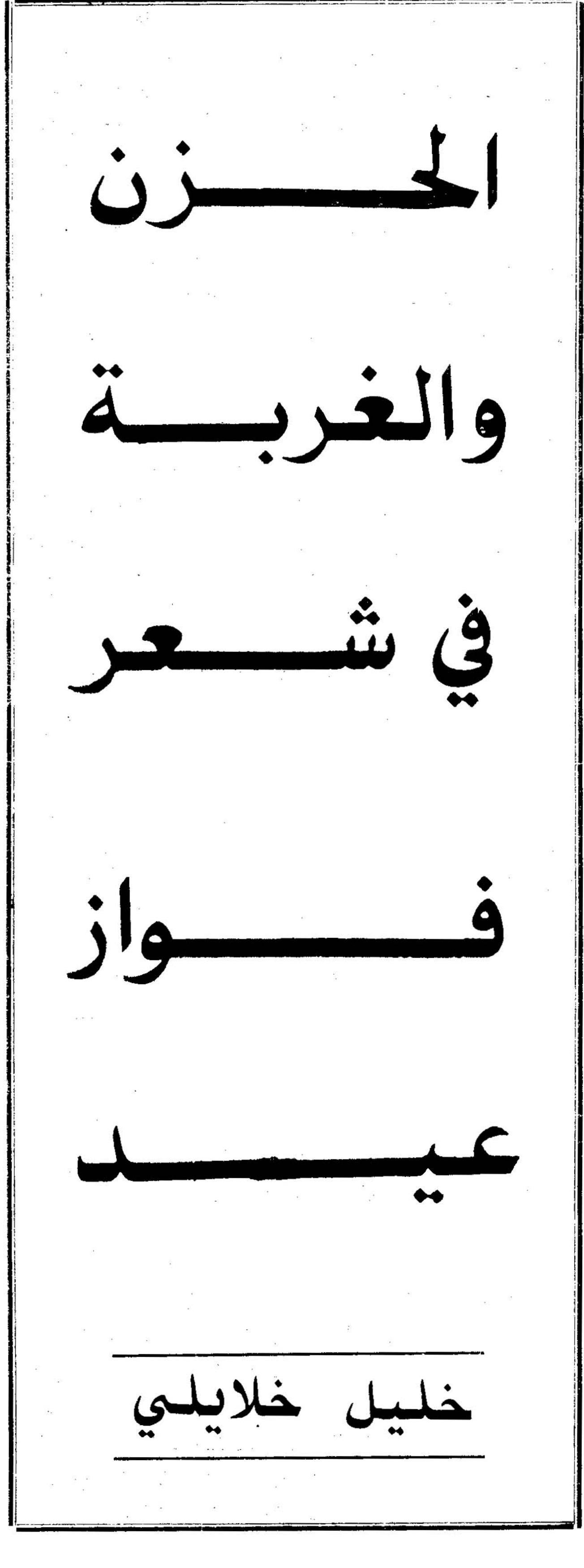
ناقلة ان اقول : انني استمتعت بهذه الرسالة المفيدة . ومن حق القارىء ان يقف على فحواها ليستمتع بمثل ما استمتعت ، فلا الكلام يغني عن مطالعتها !! ..

**مصياف ــ سورية**

**مصطفى الخش**

(١) صفحة ١٦ من كتاب خمس رسائل متبادلة بين ابي العلاء وداعي الدعاة الفاطمي ــ المطبعة السلفية القاهرة .

(٢) صفحة ٣٣ من الكتاب نفسه . الناشر محب الدين الخطيب .




**لعل الحزن هو السمة الاساسية البارزة في ديــوان الشاعر الطليعي ـفواز عيد ـ ، ـ أعناق الجياد النافرة ـ واذا قلنا الحزن ، فليس معنى هذا انه الحزن المدمر المثبط ولكنه في الحقيقة حزن من نوع جديد ، حزن انضجته نار التجربة القاسية والمعاناة الحقة في اتون العبقرية الخلاقة ٠ انه الحزن الذي يتسرب الى داخل النفس الانسانية دون استئذان فيستحوذ عليها حتى الاعماق ، ويحفرها مــن الجذور ٠٠ ينكأ جراحها بلطف ومهارة دون أن يدميها ، وما ذلك الا لانه يتسلل في حناياها بأناة وتؤدة كما تتسلل خيوط الفجر الى اعماق الظلمة ٠ انه الحزن المهذب البناء الذي لا يؤذي النفس المرهفة بمقدار ما يجعلها تتوهج بألم مبدع خلاق ٠**

واذا رحنا نفتش عن اسباب هذا الحزن العذب ودواعيه نجد فوازا يرى الحزن في كل شيء ، في السفر والترحـال وفي العودة ، في القطار الذي يودع المحطة وفي القطار الايب في الحقيبة على الرصيف ، في منديل يلوح لوداع ٠٠ في وجه أمه على أسارير الاطفال ، في محيا حبيبته التي تمر على سرير الريح ، او حبيبته التي يفتش عنها في كل مكان ، ولا يجد لها أثرا ٠

واذ نعجب نتساءل ٠٠ لم كل هذا الحزن عند هــذا الشاعر الشاب ؟ هل يعود ذلك الى سوداوية في المزاج تسيطر عليه ؟ أم هو من جراء سوء تكيف يتردى فيه ؟ هل هو من جراء تلقي الاحباط تلو الاحباط ؟ أم انه رد فعل لهموم شخصية ؟

ان من يعرف ـ فوازا ـ معرفة شخصية يقول : لا هذا ولا ذاك ، اذ ان حزن ـ فواز ـ اعمق من ان يكون سوداوية او احباطا أو رد فعل منعكس بسيط ، انه الحزن الــذي تسببه الرؤية الواضحة ، لهذه الذات الخصبة ٠

ففواز في الحقيقة انسان ولكن من طينة عجيبة ، فهو لا يرى بعينيه بمقدار ما يرى ببصيرته المتقدة ٠

انه طفل كبير يحس الاشياء وينفعل بها انفعال الاطفال ، بكل براءتهم وعفويتهم ، انه طفل يحمل كل هموم الاطفال ، الى جانب ما يحمله من فكر مبدع وخيال مجنح ، وذات خصبة مليئة ٠٠ يمتح منها ما شاء له من صنوف الاحساسات الرائعة ، وبصيرة متقدة ، يستشف بها الغيب ، ويفتح مغاليق المجهول ، فيشعر لذلك بتلك الاحساسات الرهيبة التي تدمي فؤاده وتبكيه ٠

والحزن عنده قد لايكون بكاء ونحيبا وانطواء بمقدار ما يكون ضحكا وقهقهة ولا مبالاة تحمل كل معاني الحزن والاسى والحسرة وصحة الادراك وعمقه .

**أمي تقول كبرت عن احزانك الاولى**
**فاضحك للقطار الايب ٠**

أي ضحك هو هذا الضحك ، ألا يدل ذلك على عمق احساسه بما هو آت ، ألا يستشف الغيب ٠٠ أليس معنى ضحكة انه يقول لامه: رويدك يا اماه ان الحزن الكبير آت في قطار الحياة السريع الايب ، وما احزاني الاولى بشيء امام هدير شلال الحياة القادمة ٠

ونظرة سريعة نلقيها على ديوانه الرائع الثاني ــ اعناق الجياد النافرة ــ تجعلنا نشعر بالحزن والمشاركة الوجدانية فمسحة الحزن موزعة في معظم قصائده تستبطنها كما تستبطن الاعصاب الجسد الحي ٠

واذا كان الحزن هو السمة الاساسية في الديوان ، فأجمل انواع هذا الحزن الذي يسببه ــ الحب ــ ٠

وقد يتساءل احدنا فيقول : وهل يسبب الحب حزنا مثل هذا الحزن الجميل ؟ فنقول : نعم ، ان الحب عندما يكون دونما جدوى ،وعندما يلامس روح شاعر شفافه ٠ وعندما يكون بلا امل وينتهي بالتالي الى الحرمان فلا شك انه يبعث الحزن واي حزن .

وقصيدة ــ رواه الترمذي ــ مغموسة بهذا النوع من الحب الحزين ، الذي لا طائل تحته ، والذي لا يجر الا الارق والسهر والحمى وبالتالي الحزن والمرارة والاسى:

**لحظوك اذ يرف الليل واحات**
**نسيج من نعاس النخيل والاسفار والشجن**
**حديث البحر ٠٠ زرقته المذابة خبأته**
**عن انهار الريح عن الموانىء والشموس**
**والاسماء**
**عن بحارة السفن**
**حديث الرمل والتيه**
**رواه الترمذي ٠٠ ودلسوا فيه**
**وواحة موجع حتى العروق ــ انا ــ**
**وقفت عليه ابكيه ٠**

ألا يحق للشاعر ان يكون ــ واحة موجع حتى العروق عندما يختلق الناس جميعهم من حوله الاقاصيص عن حب وهو لا يدري ٠٠ عندما يدلسون في الاحاديث ويشيعون بينهم قصص حب كاذبة ٠٠ يتمنى الشاعر لو كانت صحيحة ٠٠

واذا كان الحب داعيا من دواعي الحزن ، فهل هو وحده الذي يسبب كل ذلك الحزن ؟ لا ٠٠ ان الاحساس بالغربة والعبث والضياع والخوف من المستقبل الخبيء وبالتالي الرهبة من الموت والفناء ، هي كلها ينابيع ثر يرضع منها حزن فواز ٠

فشاعرنا حزين لانه غريب ، ولكن ما نوع هذه الغربة ، ما كنهها ؟ وما أسبابها ؟ فاذا مضينا نتقصى الاسباب تلك ، نجد ان غربة فواز هي غربة روحية اكثر من كونها غربة جسدية ، هو غريب في ــ عفرين ــ ، حلب ، في دمشق ، في جدة ، وفي الرياض ، غريب في كل مكان ، بين اهله وذويه ، بين اصدقائه ومحبيه ٠

والغربة الروحية تلك ، تقلقه تهزه تبكيه ، فهو يتلقى الاحساس بالغربة بحساسية مرهفة ، ونفس هائمة عاشقة ، ولذا فهو يحس الغربة في كل شيء ، في حبيبته التي يتعشقها ، في السيجارة التي يدخنها ، في الشراب الذي يحتسيها ، في الثوب الذي يرتديه ٠ يرى الغربة في حلمتي نهد ، وعلى شفتي زهرة ، وعلى ضفة ساقية وهو بالتالي غريب في الحلم وفي اليقظة فاسمعه يقول قصيدته ــ ايلول الجامح :

**جواد جامح ايلول زعزع قامة الاشجار**
**واوصلني الى الابواب**
**لاسمع عند سور الشوك صوت ابي**
**وامي والرفاق وضجة في الليل**
**ــ من هو ذا ؟**
**فيفتح ههنا باب ويغلق ههنا باب**
**وصوت عبر وديان النحاس يصيح : أغراب ٠**

ألا ترى معي انه غريب أيضا في حلمه ٠٠ عبر وديان النحاس ٠ وفي القصيدة نفسها يعود ينقل لنا صورة حزينة عن الغربة والبؤس والفقر والشقاء فيقول :

**غريب ذاك ٠٠ ليس لديه من خبز ومن ماء**
**ومن فخار**
**وليس لديه ان مر الشتاء عليه موقد نار**
**ولا يرقى كما ترقين ــ ادراج المساء**
**الى المصابيح الكسولة ٠٠ والحساء ــ يطل**

**مثل زرافة عرجاء**

*******

**دعيه فليس للاغراب من حب ٠٠ ومن فخار**

**وودعها ٠٠ وحل بركبتيه ووجهه التعب**

**تلقفه صباح ممطر ٠٠ وقطار**

**ومرت في السماء وئيدة سحب**

وشعوره بالغربة ، يجعله يأسى لكل غريب ، وفي قصيدته ـ دان دان ـ نجده يتألم لذلك الشيخ اليمني ،الذي جاء يطوف المدن السعودية ليلقي اغانيه الحزينة رغم شيخوخته ، وتشاء الصدف ان يلتقي الغريبان ، فيأسى كل منهما للاخر :

**كان شيخا خلفه سبعون عاما وصحاري**

**وعلى الخصر نطاق**

**وعلى الساح تلوب القدمان**

**تخفق الراحة كالنسر على الاخرى**

**وتعدو الساق خلف الساق**

**يلتف ويستعطي اكف المنشدين**

**يتعرى راقصا من عمره السبعين ٠٠ يرفض**

**جبين بارق**

**تبكي اذا اوجعه اللحن ـ شفاه**

**ويدان**

وفي المقطع الاخير من هذه القصيدة الرائعة والتي تعتبر بحق من اجمل الشعر الحديث على الاطلاق ٠٠ يوصلنا الى ذروة المأساة ، وينقل الينا الصورة الحزينة الرائعة التي تفرض علينا المشاركة :

آه هيا

صرخ الشيخ وجارت راحتاه

نحر الكتف اخاه .. اصطفقت ايدي الرجال

فأجاب الليل اقواسا .. واجراس نجوم

وصحارى : آه .. آه

زرعوا الساحة اقداما حواليه

**اقدامات من نحيب قدماه**

ومرارة الغربة تلك ، تجره الى الشعور المدمر المقيت ، الشعور بالضياع والعبث واللاجدوى .. فيرى انه سدى يعيش في هذا العالم الذي لا يقدر العباقرة حق قدرهم :

اضاعوني ـ انا المجلود والجلاد ـ

انا السكين والجرح

انا الباكي على الاطلال والمبكي

زهور ـ العوصلان ـ انا .. غناء المنشدين بليلة العرس

اسيت من السؤال به تداويت

وانت حرارة الاجراس في الغابات

في المدن النحاسية

تسر لك الضفاف حكاية في القاع مطوية

انا ظمأ التراب وملحه ـ انت الهوى

والشمس والاعياد

انا المجلود والجلاد

والضياع ذاك ، يجعله يرفع الرايات السوداء .. رايات التشاؤم وبيارق الهزيمة :

رفعت بيارقي السوداء ـ يا . . . ـ

وعدوت للريح

فزفتني الرياح لعتمة البيت

ونمت على الوساد .. فمات صيف الاغنيات

على اراجيحي .

وهكذا نراه ينتقل براية الكسيحة من مكان الى مكان تحت شمس الضياع يجر اذيال الخيبة ، دون ان يرى بارقة امل واحدة :

آه عذرا .. ماتت النار وفي الموقد

ازهار رماد

وتطلعنا معا نحو السماء

لانجوم

آه .. وانهلت شرايين الشتاء

وتطول مسيرة الضياع تلك ، وتزداد سيطرة الكآبة على نفس الشاعر فتقوده عبر وديان الموت والفناء ، ويشعر بالقماءة واللاجدوى ، لاجدوى الحياة كلهـا ، فيبدأ يبحث عن حبيبته ، لا لتواسيه ، او تعيد اليه الثقة بنفسه وبالعالم من حوله من جديد ، بل ليحفر واياها قبرا بيدين من فرح ، لانه اختار الهرب بنفسه من هذا العالم الكئيب .

وقديمة امست اغانينا .. بقايا الريح
نحن مسافران
فمتى اراك متى ؟ وانت بلا مكان
تتقدمين معي .. ونحفر قبرنا بيدين فرح
هرمت انا وانت .. متى اراك متى
وانت بلا مكان

انه يستعجل حفر القبر،لانه يرى موته خلف كل شراع:
بغير وداع
اعانق موت احبابي ، وموتي خلف كل شراع
بغير وداع

ولما كان لا يريد ان يحفر قبره وحيدا ، فهو يبدأ الان رحلة تفتيش عن حبيبته الضائعة والمرجوة التي اصبح الان يريدها رفيقة في رحلة الموت الى العالم الاخر .. فنراه ينحدر الى الجداول النحيلة ، وينام في الغابات فوق وسائد الورق ، ويطعم الوديـان من صوتـه ، ويلاقي الخريف ، ويسمع رنين اجراس الذهب كـل ذلك في قصيدته الرائعة ـ تشرين يمر ـ يقول :

اضعتك فانحدرت الى جداولي
النحيلة .. نمت في
الغابات فوق وسائد الورق
ولاقيت الخريف ببابه العالي
فأطعمني هواه .. واطعم الوديان من صوتي
وخلف معابر الغابات .. في العتمة
سمعت رنين اجراس من الذهب
وصوت حبيبتي تبكي
ويحدق النظر فيرى وياهول مايرى :

لمحت حبيبتي في النعش .. مرت في سرير
الريح .. مدت وجهها نحوي .. رمت منديلها
مرت
ومرت خلفها السحب
بكيت .. بكيت .. بعت جوادي الاشقر
وعدت اهيم في الطرقات ..

وهكذا يفر الامـل الوحيـــد من يديه ، فيبيع جواده الاشقر ويعود الى الرجاء اليأس المرير :

لعل لعل من يدري ؟
وادري ـ والسحاب يعود ـ ان الليل
لي قبر واكفان

واخيرا وبعد تطوافنا الطويل في احزان ـ فـواز ـ الوجدانية ، الا يحق لنا انتساءل : أليس لهذاالشاعر احزان وطنية ومواجد قومية ؟

وجوابا على ذلك نقول : ان احزانه العريضة تلك ، وشعوره بالغربة المريرة ذاك .. يعودان بأصولهما الى كون الشاعر مشردا عن وطنه منذ طفولته الاولى ومنذ نعومـــة اظفاره ، ولذا فهو يشعر بفقدان الـجذور وبالانقطاع عن التاريخ الشخصي ، ولكنه وان كـــان يبدو في شعره يائسا حتى الاعمـاق ، الا ان التفـاؤل كثيرا ما يعود ليظهر قويا بين السطور ، ويعود الشاعر ليرى ببصره رمـاح الكلـدان تنهض من تلال الشـفق المشـرق ، لتسـتقبل بابل في المساء جواد فـارسـه ـ بختنصر ـ ومركبات السبايا ونحال الاسرى ، عملة الاسوار وان الامل المرتقب يجعله ينتظر جديدا ، يعيد للامة نضارة تاريخها ، ويطهر ـ ارض كنعان ـ مـن دنس الصهاينة مرة ثانية :

بختنصر
عاد حيا
عاد مجنونا وشاعر [illegible]

سامرات رأينه

كان فوق البرج رمحا .. خطوة .. خاطرة

وشي رداء

يقبض الريح .. ويختال على سور المساء

وتطلعن اليه :

واقفا في منفذ الليل مليحا بيديه

ينهر الريح ـ اذا هبت فترتد اليه

وتطلعن اليه

الف طوبا للصغار

لا تخافوا .. لست ربا حاقدا

لا .. لست طينا
انا سيف كان مدفونا وعاد

انه مؤمن كل الايمان بقدر امته ، وبان هذه الامة الخالدة تلد كل يوم الف ـ بختنصر ـ يحرز النصر ويعيد لها مكانها اللائق تحت الشمس .

ولذا نراه في قصيدته ـ الصبار ـ التي يهديها الى شعراء الارض المحتلة يؤكد ايمانه بزحف الشعب المقدس فيقول :

من انتم
غرباء
اعرفكم
سدت طريق الريح اذرعكم
فزها الشقيق وحادت الامطار
خضراء عين حبيبته هتفت
تلد الرياح ويزحف الصبار

كما نراه في قصيدته ـ الميناء ـ يقدس الثبات ويحض على الصبر والمصابرة ، والمقاومة العنيدة ، والاستشهاد فوق تربة الوطن ، وينفر من الهزيمة ، لان الهزيمة لا تعني الا الذل والضراعة والركوع لتجار الدقيق وباعة الحمى :

وتزعم شيخة حدباء ان اباه
مات هناك وانطرحا
وعفر صدره وجبينه بالشمس
والتربة
ولم يعرف مع الاغراب ما الغربة
ولم يسمع سعال الريح حين تجرجر الموتى
ولم يضرع الى احد
ولم يركع لتجار الدقيق .. وباعة الحمى
لغانية تزين جيدها بقلائد الزبد
ومات هناك لم يجيء

ذاك هو ـ فواز عيد ـ الصبابة الملتاعة ، والغربة الحزينة الكئيبة ، والشعور بالضياع والعبث واللاجدوى ، ثم الخوف من الموت والفناء .. كل تلك هي الينابيع الثرة التي ترفد نهر احزانه العميق ، فتجعله يضحك ضحكة التي تخبيء ما ينطوي عليه جانحاه من ألم ممض وكآبة جارحة ..

وهو يسوق كل ذلك في ديباجة مشوقة وعفوية بسيطة وتدفق حيوي خلاق ، وبصور متتابعة متلاحمة تأتي صورة في اثر صورة .. كشريط جميل .. وياله من شريط .

واذا كنا في هذه العجالة لم نوف ـ فوازا ـ حقه ، فما ذلك الا لاننا عاجزون كل العجز عن تبيان كل مناحي عبقريته الخلاقية وذاته الخصبة ، ولكنها رغبة سيطرت علينا ولم نستطع لها كتمانا ، فأوجزناها على هذا النحو .

فاذا ما قصرنا في الاجادة ، فقد كفانا نبل المقصد وسمو الغاية .. وتحيتي للشاعر الشاب الملهم .

**دمشق ـ خليل خلايلي**

# الوتر الناسك

ابراهيم منصور

**القيت في الحفلة التأبينية الكبرى للشاعر المغفور له الاستاذ محمد حمدان الخير في قريته القرداحة .**

وترى ناسك وقلبي حزين    فلحوني تضرع وانين
رب ان الاعصار هز ضفافي    فتهاوت وارتاع منها السفين
كلما لاح في سمائي شهاب    المعي العبور فجر مبين
كلما انداح في وجودي لحن    عبقري الرواء حان حنون
غاب تحت الثرى وطي ضلوعي    فضلوعي كنز القبور الثمين
فانا المشرف الفني اذكارا    وانا في حصاده المسكين
لا تلومي يااخت ان الليالي    مثقلات والخطب فيها الجنين
لا تلومي وفي الزوايا خبايا    عف عنها البيان والتبيين
اي نعمى ارجو وكل صباح    مأتم مقبل وخل يبين
خلني من غرام سعدى وليلى    ودعيني ان الهوى ميسون
ايها المبدع المفن سلاما    واستمع لي ان الحديث شجون
ان يكن قد اضاعك الناس حينا    فبحن الخلود انت القطين
انت في هيكل الفنون رسول    فسلوها فهل تبوح الفنون
شعرك السحر بوحها وصداه    لا اغالي وركنها والحجون
لم تلن من قناك جهم الليالي    يوم كان الجزار والسكين
عفة زانها الاباء شموخا    كل شيء غير الاباء يهون
وتقى انبت الفضيلة دينا    كل ما يخصب الفضائل دين
فكثير اعطيت دون حساب    وقليلا اعطى الزمان الخؤون
منجم قلبك الكبير عطاء    دائن انت والزمان المدين
حكم جنحت مرامي زهير    هي منها مفاصل ووتين

غزل من راى ابتسامة ليلى   في خباها وقد اتى المجنون
ونظيم سلسلته بفقيد   اهود مع ام لؤلؤ مكنون
وقواف اسلست كبر قناها   فاستلانت وهي العصي الحرون
يالسقيا من دمعة الله اصفى   يتعاطى من دنها المكزون
فلئن صرت في البعيد بعيدا   انت في توقنا الكمين كمين
من انا انت يا انتفاضة ريفي   من انا انت والشقاء الخدين
ضمنا في سفوحه في رباه   عربي الذرى اشم مكين

❋ ❋

هو صنين معدنا ونجارا   وهو في معرق الهوى قاسيون
الفنا في جناحه فمنانا   ما تجلت سهوله والحزون
كما اعرنا السراب جفن رؤانا   اترانا لكل حلم جفون
فعلى كل مفرق وسبيل   مزق من شبابنا ولحون
في حراحاتنا لهات الاقاصي   ويسيل العليق والشربين
نايننا بلبل بحضن السواقي   او اردنا ربابنا الحسون
ان وردنا فندوة وكتاب   او صدرنا فحقلنا والشؤون

★ ★ ★

نحن هذا والف ذكرى كعاب   ملء ابرادها الهوى والفتون
زعموا اننا الصباة وحقا   قد صبونا لكن هوانا اليقين
صلبوا الفجر في الحنون وقالوا   ان هذا المصلوب ماء وطيون
فتنوا في حطامها وفتنا   بالمعاني فأينا المفتون
سوف يفني ما جمعوا وسيبقى   ما جمعنا فأينا المغبون
بدعه المال لحظة ثم تمضي   في دروب الفنا وتمضي السنون
انما الحرف والخلود عناق   سرمدي تنهار فيه القرون

❋❋❋

حدثونا عن الخلود اذا لم   يكن الفن والصدى ما يكون
قسمة الدهر نكسة وانتصار   خفقت ريحنا ولات سكون
الف حطين ان اراد صلاح   الف يرموك ان راي تشرين
امتي زهوة السماء على الا   رض فمنها الفادي ومنها الامين
ها هنا عبقر وهذا فتاه   وهنا حافظ وهذي العرين
لك قلبي تحيه تتوالى   كلما عانق الربيع السنونو

**ـ المحامي ابراهيم منصور ـ طرطوس ـ**

# الرابطة الادبية في دمشق جمعية ومجلة ١٩٢١ ـ ١٩٢٢

عيسى فتوح

شعر فريق من أدباء دمشق في آذار سنة ١٩٢١ بحاجة الادب العربي الى نهضة توقظ الادب من سباته العميق ، وتبث فيه روح النشاط والحيوية ، ورأوا ان كل مجهود يبذله الافراد متفرقين ، هو مجهود ضائع لا يأتي بالثمرة المرجوة ، فصمموا على انشاء جمعية ادبية تلم شملهم ، وتوحد قواهم ، فتم لهم ذلك ، وعقدوا اول اجتماع تمهيدي لهذا الفرض في الرابعمن شهر أذار سنة ١٩٢١ ، حضره جمهور من الادباء ، واستقر رأيهم على تأليف جمعية تعمل على خدمة الادب تسمى ـ جمعية الرابطة الادبية ـ ، وانتخبوا سبعة منهم للجنة التأسيسية وهم : ابراهيم حلمي ، ابراهيم دادا ، ، حليم دموس ، خليل مردم بك ، عبد الله النجار ، فخري البارودي ، نجيب الريس .

ثم اجتمعوا مرة ثانية في ١٢ اذار ١٩٢١ ، حيث وضعوا قانون الجمعية الذي صادقت عليه الحكومة ، وفي ١٩ اذار من السنة نفسها عقد الاخوان جلستهم الثالثة ، وشرعوا في انتخاب اللجان التي نص القانون على وجودها وهي :

اللجنة الادارية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، ولجنة النقد ، ولجنة انشاء المجلة .

**١ ـ اللجنة الادارية :**

تألفت من : خليل مردم بك ـ رئيسا ـ ، ابراهيم دادا ـ نائب للرئيس ـ ، حيدر مردم بك ـ خازنا ـ ، زكي الخطيب ـ كاتبا داخليا ـ ، عبد الله النجار ـ كاتبا خارجيا ـ .

**٢ ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر :**

تألفت من : شفيق جبري ، حبيب كحالة حليم دموس ، عز الدين علم الدين ـ التنوخي ـ ، سليم الجندي ، نسيب شهاب ، جورج الريس .

### ٣ ــ لجنة النقد :

تألفت من : الانسة ماري عجمي ، محمد الشريقي الشماس ابيفانيوس زائد ــ مطران عكار توابعها حاليا ــ قبلان الرياشي ، يوسف حيدر .

### ٤ ــ لجنة انشاء المجلة :

ولما عزمت الجمعية على اصدار مجلة تكون لسان حالها ، رأت ان تنتخب لجنة خاصة لانشائها . فنال اكثرية الاصوات كل من الاخوان : خليل مردم بك ، محمد الشريقي ، حليم دموس عز الدين التنوخي ، زكي الخطيب ، نسيب شهاب ، احمد شاكر الكرمي ــ صاحب مجلة الميزان ــ .

درجت الجمعية منذ تأسيسها على عقد اجتماع عام كل اسبوع ، يحضره جميع الاعضاء العاملين ويلقي فيه احد الاخوة محاضرة في موضوع يختاره ، ثم تعرض اعمال اللجان على الاعضاء للمناقشة فيها ، وتطرح شؤون الجمعية الادارية على بساط البحث .

كان من اهداف الجمعية عقد صلة التعارف بينها وبين الادباء في جميع الاقطار العربية والمهاجر ، وتوحيد قواهم المتفرقة ، وتنظيم صفوفهم ، ليتسنى لهم الفوز في معترك الحياة الادبية الذي كاد يستظهر فيه الادعياء ، وينتصر المبطلون .

### نظام الرابطة

يتألف نظام الرابطة من سبع عشرة مادة، تنتظمها خمسة فصول ، الخص أهم ما ورد فيها :

تتكون هذه الجمعية من بعض الادباء المقيمين في دمشق ، وغايتها اعلاء كلمة الادب العربي ، ولا تتدخل في السياسة مطلقا . وهي تداب على عقد جلسات اسبوعية ، تتلى فيها الخطب والمباحثات نثرا وشعرا، وتسعى الى تشجيع طلاب الادب ، واقامة الاسواق الادبية ــ الحفلات ــ على اختلافها .

ينقسم الاخوة المنتسبون للرابطة الى قسمين : اخوة عمل ــ عاملين ــ واخوة ــ شرف ــ ، يشترط في العاملين :

١ ــ ان يكونوا من الادباء .

٢ ــ ان توافق اكثرية الاخوة المطلقة على انضمامهم ، بعد البحث التام عن احوالهم .

٣ ــ يتحتم على كل اخ ان يبذل قصارى جهده في سبيل مساعدة الرابطة ، والقيام بما يناط به من الاعمال ، ومن يتمنع عن دفع ما يترتب عليه دفعه يرصد قيده .

اما اخوة الشرف فانهم ينتخبون بموافقة الاكثرية ، ممن اشتهروا بمناصرتهم للادب وودوا الانتماء الى الرابطة ومشاركتها في الراي ، ولكن لم تسمح لهم احوالهم بحضور جميع جلساتها والقيام بكل ما تستدعيه قوانينها ، وهؤلاء لا يحق لهم التصويت .

تقوم لجنة التأليف والترجمة والنشر بما يعهد اليها من تأليف وترجمة واحياء الخطابة ، اما لجنة النقد فتقوم بنقد ما يعرض عليها من مؤلفات لجنة التأليف والترجمة ، وغيره من القصائد والمؤلفات الادبية ، وتعرض كل من هاتين اللجنتين ثمرة اعمالها على الاخوة مرة في الاسبوع .

وقد اخذت الرابطة على نفسها مهمة طبع الكتب الادبية ، واكرام المجيدين من الادباء ، واقامة الحفلات التكريمية .

### اعمال الرابطة من خلال جلساتها

تم في الجلسة الثالثة التي عقدت في ١٩ اذار سنة ١٩٢١ الاتفاق على اقامة حفلة تأبين للمرحوم ولي الدين يكن ، وانتخبت لجنة مكونة من : خليل مردم بك ، حبيب كحاله ، حليم دموس ، عبد الله النجار للتهيئة للاحتفال .

وفي الجلسة الرابعة التي عقدت بعد اسبوع ، اي في ٢٦ اذار تقرر ان تقام حفلة التأبين يوم ٨ نيسان ١٩٢١ ، وتقرر ان يقوم الاخ رشدي الحكيم مقام الاخ يوسف حيدر في لجنة النقد ، وان يحمل الاخوة في حفلة التأبين شارة موقتة ، وهي عقدة حريرية ذات لون بنفسجي ، ريثما يتم وضع شارة دائمة ، واخيرا تليت رسالة من السيد يوسف لطيف يعد فيها باهداء صورة ولي الدين يكن مكبرة ، فتقرر قبول الصورة وشكره على هديته .

لم يجد شيء في الجلسة السادسة مساء ١٦ نيسان قرىء محضر اللجنة الادارية وقبل ما اقترحته من القاء محاضرات اسبوعية في الاجتماعات العامة . على ان تعين اللجنة الادارية المحاضر من الاخوة وتخبره بذلك قبل اسبوعين على الاقل ، وان تعرض كل محاضرة بعد القائها على لجنة النقد للنظر فيها .

في الجلسة السابعة مساء ٢٩ نيسان ١٩٢١ القى الاخ احمد شاكر الكرمي محاضرته في ــ معنى الادب ــ ، وقرئت رسالة من الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف يحبذ فيها خطة الجمعية ، ورسالة من الاخ نجيب الريس ينبىء فيها بمغادرة دمشق ، وتقرر ان يشطب اسم الاخ الذي يتخلف عن حضور الجلسات ثلاث مرات متوالية بدون عذر مشروع .

في الجلسة الثامنة مساء ٧ أيار ١٩٢١ القى الاخ ميشيل سعد محاضرته ــ المقابلة بين اللغة العربية وبقية اللغات ــ ، ثم تقرر ان تصدر الجمعية مجلة باسم ــ الرابطة الادبية ــ ، يكون رأس مالها مساهمة بين الاخوة ، وان يقوم الاخ احمد شاكر الكرمي مقام الاخ رشدي الحكيم في لجنة النقد الى ان يشفى من مرضه ، وقبول السادة : عبده كحيل وتوفيق شامية ومتري قندلفت اخوة شرف في الرابطة .

في الجلسة التاسعة مساء ١٤ ايار سنة ١٩٢١ تلا خليل مردم بك محاضرته في ــ فتنة القول : وتقرر ان ينوب حليم دموس عن الانسة ماري عجمي في لجنة النقد لتغليبها في بيروت .

ظلت الجلسات تعقد اسبوعيا بشكل دائم ، لا يتخلف عنها اي من الاخوة الا لاسباب قاهرة ، وتقرأ محاضرة على الاقل في كل جلسة . ففي الجلسة العاشرة التي عقدت مساء ٢١ أيار ١٩٢١ تلا الاخ ميشيل سعد محاضرته في ــ الفراسة ــ ، وقرىء كتاب قدم لحاكم سورية العام لتسميته رئيس شرف للجمعية ، كما انتخبت لجنة اصدار المجلة .

في الجلسة الحادية عشرة مساء ٢٨ ايار ١٩٢١ القى الاخ الشاعر حليم دموس محاضرته في ــ التجدد الادبي ــ ، وفي الجلسة الثانية عشرة مساء ٤ حزيران قدم الاخ عز الدين التنوخي محاضرته ــ مقدمة تاريخ الادب اليوناني ــ .

في الجلسة الثالثة عشرة التي عقدت مساء ١١ حزيران تلا الاخ قبلان الرياشي محاضرة لم يذكر اسمها ، وتقرر تسمية السادة : عبد القادر المغربي وسعيد الكرمي ويوسف لطيف اخوة شرف للجمعية .

في الجلسة الرابعة عشرة مساء ١٨ حزيران تلا الاخ نجيب الريس محاضرته في ــ الشعر ــ ، ثم قرىء كتاب من ــ الرابطة القلمية ــ في الولايات المتحدة الامريكية ، حرره مستشارها ميخائيل نعيمه ، كلف فيه رابطة دمشق ان تكون مراسلة لرصيفتها رابطة نيويورك ، ودعا فيه الرابطة الادبية الى ــ خلق روح تنفث فيها حياة حديثة ، فتقتلع يابسها ، وتنمي ما اخضر من نباتها ، وترمم ما تداعى من اركانها .. ففي ادابنا كثير مما رث وبلي ، فحان وقت فرزه ونبذه ، وكثير مما هو بالحفظ والادخار ــ .

ويقول نعيمه ايضا : ــ وفي شرعنا ايها الاخوان ، اننا قد بلغنا في نمونا الادبي نقطة نراها حدا فاصلا بين

عهدين ، ونرانا عندها واقفين بين ماض يستعبدنا بتقاليده ، ومستقبل يدعونا الى اطلاق القريحة من حبوسها ، ونعني باطلاق القريحة ان يغمس الكاتب قلمه في قلب الحياة ، قبل ان يغمسه في المحبرة ، اذ ذاك يصبح الادب معرضا للفكر الحي والروح المستيقظة لا ميدانا تتبارى فيه البهرجة اللغوية ، والسفسطة البيانية — .

وقد اجابت الرابطة الادبية على كتاب الرابطة القلمية برسالة حررها رئيسها المرحوم خليل مردم بك ، اعلن فيها استعداد الرابطة الادبية للتعاون ومد يد المصافحة لكل العاملين على خدمة الادب الصحيح بقوله :

— يسرنا ان نسير معكم جنبا الى جنب في ظل لواء هذه اللغة الشريفة ، عاملين يدا واحدة — كل بقدر استطاعته وطاقته — على نصرة الادب العربي واعلاء شأنه ، بعد ان طال امد غفلة الادباء ورقودهم ، فامتلأت حقول الادب بالشوك والزوان ، وغدت في حاجة قصوى الى ايد عاملة تتعهدها بالعناية والاصلاح — .

— لقد كان كل فرد منا — قبل ان تجمع الرابطة شملنا وتضم شتاتنا — يشعر بالحاجة الى اجتماع الكلمة ، والافتقار الى الاتحاد في سبيل انهاض الادب من كبوته ، وما هي الا ان ارتفع صوت الداعي الى الاتحاد ، حتى اسرعنا الى الاجابة ، واظهرنا الى عالم الوجود هذه — الجمهورية الادبية — الصغيرة التي تمد لكم اليوم يد الاخاء — .

— اننا نشعر بخطر التبعية الادبية الملقاة على عواتقنا، لاننا نعلم عظيم حاجتنا الى النهوض والتجدد في ادبنا ، وقد وطدنا العزيمة على العمل ، وشرعنا في المسير على السراط الذي رسمناه لانفسنا ، واذا كنا نسكت عن شرح خطتنا لكم — وانتم اخواننا في الادب والوطنية — وعن بيان تفاصيل اعمالنا ونياتنا ، فما ذلك الا لاننا لا نرى ان نكثر من الاماني والوعود ، ونفضل ان تروا اعمالنا قبل ان تسمعوا اقوالنا — .

— وستصلكم قريبا المجلة التي قررنا اصدارها، لتكون لسان حالنا ، فتمثل لكم جزءا من الجهد الذي عزمت رابطتنا على بذله في سبيل خدمة مبدأها

— وها نحن نمد يدنا لمصافحة كل العاملين على خدمة ذلك المبدأ الجليل ، ونقول لهم تعالوا لنسكب قلوبنا فوق الاوراق ، كما تنسكب لآلِيء الندى الذي فوق الازهار ، حينما يبتسم الليل عن فلق الصباح ، تعالوا لنحرق ذكاءنا امام المبدأ المقدس بخورا يتصاعد الى العلاء ، كما تتصاعدانفاس الورود العطرة في الربيع — .

— نحن لكم ، وانتم لنا على القرب والبعد ايها الاخوة الاحباء ، وسلام عليكم ولكم بكرة وعشيا . وفي الجلسة الخامسة عشرة مساء ٢٥ حزيران ١٩٢١ تلا الاخ محمد الشريقي محاضرته — نهج الادبين — ، كما تلي كتاب الرابطة القلمية ، وتقارير اخرى .

وفي الجلسة التالية القى الاخ عبد الله النجار محاضرته — القوى الغاشمة — ، وتقرر تأليف لجنة لوضع شارة للجمعية ، فانتخبت لذلك ثلاثة من الاخوة هم : ماري عجمي والشماس ابيفانيوس زائد واحمد شاكر الكرمي ، وان يكون قرارها نافذا .

في الجلسة السابعة عشرة مساء ٩ تموز ١٩٢١ القى الاخ الشماس ابيفانيوس زائد محاضرته — ماهية الفن — ، ثم بحث في قبول اعضاء جدد لم تذكر اسماؤهم . وفي الجلسة الثامنة عشرة مساء ١٦ تموز ١٩٢١ تلا الاخ نسيب شهاب محاضرته — تاريخ الطيران — وفي الجلسة التالية لها القى الاخ راشد البيلاني محاضرته — السعادة — ، ثم ووفق على شارة الجمعية التي صممت على شكل قلم وزهرة متعانقين .

في الجلسات الثلاث التالية القيت محاضرات :

الشعر العربي — للاخ سليم الجندي ، و — نشوء الجماعات — للاخ سيمون لويس،و — الالعاب الرياضية

ـ للاخ جورج الريس ، كما تقرر حل لجنة التأليف والترجمة لاهمالها العمل الذي عهد به اليها .. وفي الجلسة الثالثة والعشرين التي عقدت مساء ١٠ ايلول ١٩٢١ القى الاخ زكي الخطيب محاضرته ـ لمن المستقبل ـ ، والفت لجنة جديدة للتمثيل والاحتفالات قوامها الاخرة : فخري البارودي ، سيمون لويس ، نجيب الريس ، جورج الريس ، فيليب سعد ، بهيج الخطيب ، راشد البيلاني ، وتقرر السماح للغرباء بحضور اجتماعات الجمعية العامة باذن سابق .

في الجلسة الرابعة والعشرين مساء ١٨ ايلول القى الاخ مصطفى الشهابي محاضرته في ـ تاريخ الزراعة ـ ، وقرئت كتب مرسلة من : عبد الحميد الرافعي ، والشماس ميخائيل الحاج ، وفي الجلستين التاليتين القى الاخ فخري البارودي محاضرته في ـ الانتقاد ـ ، والقت الاخت الانسة ماري عجمي محاضرتها ـ الشباب والشيخوخة ـ ، ثم توقف الجلسات عشرين يوما من ٥ ـ ٢٢ تشرين الاول لاسباب لم تذكر .

كان مجموع الجلسات الاسبوعية التي عقدت خلال عام ١٩٢١ ستا وثلاثين جلسة ، القيت فيها الى جانب ما ذكرت ـ محاضرات : ـ علاقة الارمن بالعرب ـ للاخ عز الدين التنوخي ، و ـ الجراد ـ للاخ حليم دوس ، و ـ الذاكرة ـ للاخ ميشيل سعد ، و ـ الشخصية في الادب ـ للاخ احمد شاكر الكرمي ، و ـ أصل اللغة ـ للاخ عبده كحيل ، و ـ الشخصية المتغيرة والحقيقة المجزاة ـ للاخ فيليب سعد . وتقرر في الجلسة الرابعة والثلاثين التي عقدت مساء ١٠ كانون الاول ١٩٢١ تعيين لجنة يوكل اليها طبع كتاب ـ معاني الشعر ـ للاشناندائي (٢) ، وتخصيص ريع حفلة الرابطة لتصحيحه ووضع المقدمة والفهارس والشروح والهوامش له ، وهي مؤلفة من الاخوة سليم الجندي ، وأحمد شاكر الكرمي ، وحليم دموس وعبد الله النجار ، وخليل مردم بك .

وفعلا اقامت الرابطة حفلة ساهرة في نادي ـ زهرة دمشق ـ يوم الجمعة في ١٦ كانون الاول ١٩٢١ القى فيها حقي العظم حاكم دولة سورية كلمة اعرب فيها عن ارتياحه لاعمال الجمعية في جهادها الادبي ، وتكلم بعده كل من الاخوة : زكي الخطيب محمد الشريقي ، احمد شاكر الكرمي ، حليم دموس وتخلل الخطب عرض صور متحركة ، وموسيقا الية

في الجلسة الخامسة والثلاثين مساء ٢٤ كانون الاول ١٩٢١ تقرر قبول عارف النكدي اخا عاملا ، كما القى الاخ عبد الستار السندروسي محاضرة بعنوان ـ تأثير البداوة في الحضارة ـ ، وفي الجلسة الختامية لعام ١٩٢١ القى الاخ عبد الله النجار محاضرته ـ الناسك المجنون ـ . في اول جلسة من جلسات العام الجديد ١٩٢٢ القى الاخ زكي الخطيب محاضرة عنوانها : ـ بحث في المعضلات الاجتماعية ـ ، وتليت مختارات من كتاب ـ معاني الشعر ـ للاشناندائي ، وقصيدة للاخ عارف النكدي عنوانها ـ لا رعى الله ـ وتم الترحيب بالاخ فخري البارودي ، بمناسبة قدومه من القاهرة ، وتقرر ان تقوم لجنة النقد بجمع كتاب تنتخب مادته من أثار الاخوة شعرا ونثرا ، الا ان هذا العمل لم يتم ولم يطبع للرابطة أي كتاب غير ـ معاني الشعر ـ ، الذي قدم هدية لقراء المجلة ، بدلا من العدد العاشر .

في الجلسة السادسة مساء ١٨ شباط ١٩٢٢ ، القى الاخ عارف النكدي محاضرته ـ اللغة العربية ـ ، وتقرر قبول اخوة مراسلين ، وان لايقبل اخ في الجمعية ما لم يقدم اثرا من اثاره الادبية يدل على كفاءته .

في الجلسة السابعة القى الاخ محمد الشريقي محاضرة ــ نشيد الانسانية ــ ، وقبل كل من: درويش أبي العافية ، وفائز الشهابي ، وميشيل فرح اخوة عاملين في الرابطة .

وفي الجلسات الاربع التالية ، القيت محاضرات: ــ اشرف الشعر واحسن القول ــ الاخ نجيب الريس، و ــ الفرد والجماعات ــ للاخ رشدي ملحس ، و ــ التشبيه ــ للاخ ميشيل فرح ، و ــ سر النجاح ــ للاخ فخري البارودي ، وقرىء محضر لجنة النقد لمحاضرتي عارف النكدي وميشيل فرح ، وتقرر الغاء لجنتي التمثيل والنقد ، على ان يضاف عضوان من لجنة النقد للجنة الانشاء فتقوم عندئذ بمهمة النقد ثم اعلن الرئيس مدة انتهاء عمل اللجنة الادارية ، بعد مرور سنة على تشكيلها ، ففاز بالانتخابات الجديدة كل من الاخوة :

خليل مردم بك ــ رئيسا ــ ، محمد الشريقي ــ نائبا للرئيس ــ ، زكي الخطيب ــ كاتبا داخليا ــ فائز الشهابي ــ كاتبا خارجيا ــ ، و ميشيل سعد ــ خازنا ــ .

وتقرر ايضا ان يؤخذ من كل اخ عامل ليرة عثمانية ذهبا ، كحد ادنى ، لاستئجار مركز للرابطة في المستقبل ، ورفع قيمة الاشتراك الشهري من خمسة وعشرين قرشا الى خمسين قرشا ، وفصل كل من يتخلف عن دفع اشتراكه ثلاثة اشهر ، وتكليف الاستاذ عيسى الاسكندر المعلوف بالقاء محاضرة ادبية في الجلسة القادمة .

لم تعقد جمعية الرابطة الادبية في سنتها الثانية الا احدى عشرة جلسة فقط ، كان تاريخ اخرها ٢٥ اذار ١٩٢٢ . واذا اضفنا اليها ستا وثلاثين جلسة في السنة الاولى ، يصبح مجموع جلساتها سبعا واربعين جلسة ، قدم فيها العديد من المحاضرات التي اغنت الادب العربي ، وزادته ثراء وخصبا .

### مجلة الرابطة الادبية

لقد كان الهدف من اصدار مجلة ــ الرابطة الادبية ــ هو ان تكون اللسان الناطق باسم الجمعية ، وتعبر من اراء اعضائها وافكارهم ومشاعرهم ، وان تستقطب نتاج الاخوة الادبي من شعر ونثر ومقال وقصة ومسرحية .. لكن هدفها الاسمى كان ــ هدم ما تداعى من الفاسد وبناء الصالح ، واحاطة المتين منه ــ .

شعرت الرابطة بأن الادب العربي رسف في اذلال القيود ، وكبلته اغلال الصنعة البغيضة خمسة قرون متوالية ، وقد آن له ان ينهض من كبوته هذه ، ويستفيق من غفوته الطويلة، وينجو من ادباء لايضربون الا على غرار سواهم ، وينطقون بما لا تجيش به صدورهم ــ .

ــ ثم خلفهم خلف غلف قلوبهم ، معوجةالسنتهم، ما عرفوا من الادب الا التفاعيل والاسجاع ، جمعوا الى سخافة المعنى ردىء اللفظ ، فكانوا في الدرك الاسفل من الهذيان والهذر ــ .

كان الدافع لتأسيس الرابطة اذن ، الغيرة على الادب بالدرجة الاولى ، بعدما وصل الى ما وصل .

فقد صار كمريض تساوره الاسقام ، وتواثبه الالام ، حتى كاد يلفظ انفاسه ، بعدما طال نزعه ، حتى قيض الله له من اساة الادباء من نفس كربته ، وكشف غمته .

رأت الرابطة ان علاجه لا يعدو احد قسمين لا يجوز التفريق بينهما ، وان اختلفا ، الاول تعهد جسمه الناحل الضاوي بالتقوية ، والثاني نفي الاوضار التي علقت ببدنه ، وكان منها بؤرة جراثيم خارت لها عزائمه ، فعلى من يتصدى لمعالجة ان يكون بانيا وهادما وطبيبا وجزارا في آن واحد .

حالة الادب هذه هي التي حفزت طائفة من ادباء دمشق على نصرته بل خدمته فبايع بعضهم بعضا بقلوبهم قبل ايديهم على تعهده والعناية به ، وتحالفوا على اعلاء كلمته ، فأسسوا الرابطة الادبية ومن ثم مجلتها التي لم يكتب لها العمر الطويل .

كانت سنة المجلة عشرة اعداد فقط وعدد ممتاز صدر العدد الاول منها في مطلع ايلول سنة ١٩٢١ ، والعدد التاسع في مطلع ايار سنة ١٩٢٢ ، اما العدد العاشر الذي ختمت به السنة الاولى ، فكان كتاب ــ معاني الشعر ــ الذي حققته الرابطة ، وطبعته طبعا متقننا على ورق صقيل ، بعد ان شرحت مواطن الغموض فيه ، وجعلت له ملحقا يحتوي على فهارس الابيات الشعرية والاعلام والبلدان ، مع ترجمة الرجال والنساء الواردة فيه .

كان المدير المسؤول عن المجلة هو الاخ عز الدين التنوخي ، وكانت تطبع في مطبعة ــ الترقي بمحلة ــ القيمرية ــ لصاحبها صالح الحيلاني . اما قيمة الاشتراك فليرتان سوريتان ، وفي الاقطار الاخرى ليرة مصرية واحدة . وكان لها وكلاء في مختلف الجهات ، ففي حلب ــ اسماعيل سامي الكيالي ــ وفي طرابلس الشام ــ يوسف سعد ــ ، وفي رأس المتن بلبنان ــ سامي مكارم ــ ، وفي النبك ــ يوسف خنشت ــ ، وفي مصر ــ محيي الدين رضا ــ ، وفي المكسيك ــ ادارة جريدة العلم ــ .

كانت صفحات كل عدد اربعا وستين صفحة ، ويحتوي على خمسة ابواب ثابتة هي : باب سير الادباء ، وباب تهذيب الالفاظ يحرره الاخ سليم الجندي وباب صدفات الغواص يحرره الاخ عز الدين التنوخي ــ ابو قيس ــ ، وباب النقد ، بالاضافة الى باب الرواية الذي نشرت فيه رواية ــ مي ــ التي ترجمها عن الانكليزية الاخ احمد شاكر الكرمي .

لم يبق احد على قيد الحياة من اخوة الرابطة الا: المطران ابيفانيوس زائد في ــ حلبا ــ ، بلبنان ، مد الله في عمره .

---

(٢) الاشناندانى هو ابو عثمان سعيد بن هرون الاشناندني . ذكره ابن النديم في مقالة اللغويين والنحويين من كتاب الفهرست ، وعده من علماء البصرة . روى عنه ابن دريد ولقيه في البصرة . له من الكتب ــ معاني الشعر ــ و ــ كتاب الابيات ــ . عاش في القرن الثالث للهجرة .

# البحيرة

## للشاعر الفرنسي الكبير لامارتين

ترجمة : ياسين شلبي

وهكذا .. اننا دائما مدفوعون نحو شواطىء جديدة
محمولون في الليل الابدي .. بلا عودة
افلا نستطيع ان نلقي المرساة يوما واحدا
في محيط الاعمار ؟

أيتها البحيرة ان العام يلفظ انفاسه الاخيرة
انظري .. ها انذا أجلس وحيدا على هذه الصخرة
بالقرب من الامواج العزيزة التي حرمت رؤيتها ثانية
هنا حيث رأيتها تجلس

هكذا كنت تخورين تحت هذه الصخور العملاقة
تتكسرين على سفوحها الممزقة
وكانت الرياح .. تقذف زبد أمواجك
على قدميها المعبودتين

ذات مساء .. ألا تذكرين ؟ عندما ابحرنا بصمت
لم نكن نسمع من بعيد .. على صفحات الماء .. وتحت السموات
سوى صخب المجذفين اللذين كانوا يضربون بايقاع
امواجك المنغمة

وتتعالى فجأة لهجات مجهولة على البر
فتجاوبت أصداؤها عبر الشاطىء المسحور
أصغى الموج •• والصوت الحبيب
تسبب في صياغة هذه الكلمـــات

أيها الزمن علق طيرانك •• وأنتن ايتها الساعات السانحات
أوقفــن جريكــن
دعــونا نعب ملذاتنا السريعــة
لاجمــل أيامنـــا

أيها القدر •• يوجد على الارض كثير من التعســاء
يتضرعون اليك •• اجر نحوهم
واحمل لهم العناية والرحمة
وانس الســعداء !

انني •• عبثا •• أطلب لحظات أخــر
يتركني الزمــن ويهرب
أقول لهذه الليلة ••أبطئي •• فبعد قليل
سيطرد الفجر فلول الليل

لنحب اذن ــ لنحب اذن ــ ! ــ لنحب الساعات الهروبة
لنسرع ولنتمتــع !
فليس للزمن من ضفة ــ وليس للانسان من مرسى
انه يجري ونحن نمضي
يجري الى اللانهاية •• ونمضي الى حيث لا ندري ؟
أيها الزمن الحسود •• هل يمكن لهذه اللحظات من النشوة

حيث لنا الحب العارم كؤوس السعادة
« أقول » هل يمكن لهذه اللحظات ان تبتعد عنا بنفس السرعة
التي تقترب بها ايام البؤس ! ؟

نعم •• أنعجز حتى عن ادراك أثر الزمن !؟
فكل شيء يمضي الى اللانهاية ••
وكل شيء زائل •• هالــك
انه الزمن الذي يمنحهــا
والزمن نفسه يعود فيمحيهـــا

الا نستطيع استرجاعهــــا
مطلقـــــا ؟

أيها الخلود •• أيها العدم •• أيها الماضي
ايتها الهوات المظلمــــة
ماذا تفعلون بالايام التي تتذوقونهـا ؟
تكلمــــوا ••
هل ستعيدون الينا تلك النشاوى العارمة
التي تجعلونا نسمو بهـــا ؟

أيتها البحيرة •• ياصخور صامتة •• ياحفر •
أيتها الغابات المظلمــة ••
أنتم من لا تطالهم يـــد الزمن ••
وربما يجدد شبابكم ••
احفظوا من هـــذه الليلـــة
احفظي أيتها الطبيعة الجميلة
على الاقل •• الذكرى ••

في سكونك •• أو هيجانك
في شواطئك الضاحكة •• يابحيرة الحب الجميلة
في هذه الصنوبرات العاتمات

وفي هذه الصخور المقفرة
التي تنعكس صورها في مياهك

احفظي الذكرى
سواء في الرياح العاصفة •• والماضية ••
او في صخب ضفافك
المتجاوبة الاصـــداء
في القمر الذي ينير سطحـــك
بضوئه النبيل

ان الرياح العاصفة •• والقصب المتنهد
ان العطر اللطيف لهوائك العبق
ان كل ما نسمع •• وما نبصر •• وما نشم
ان كل شيء في الوجود « ايتها البحيرة »
يقـــول •••

« انـــا أحببنـــــا »

ياسين محمد الشلبي ـــ دمشق

# قصص من بلدي

## تاليف : مقبوله الشلق

## عرض وتقديم : حسان الكاتب

طالعتنا الاديبة الشاعرة المعروفة السيدة مقبولة الشلق بمجموعتها القصصية الجديدة ــ قصص من بلدي ــ بتاريخ ــ ١ــ٥ــ١٩٧٨ فأضافت بذلك ذخرا قيما للمكتبة العربية في ميدان القصة النابعة من ضمير الشعب والمعاناة الصادقة كفتاة ناضلت مع من ناضلن من فتيات سورية كي تنال المرأة حقوقها حيث كانت اول فتاة سورية حصلت على اجازة من معهد الحقوق عام ١٩٤٤ وقد اعترف لها بحظ موفور من الثقافة فقد دعيت لالقاء محاضرتين خلال عامي ١٩٤٢ ــ ١٩٤٤ في بهو المجمع العلمي العربي بدمشق أسوة بالمثقفين الرجال الذين كانوا يدعون للمحاضرة فيه من قبل رئيس المجمع آنذاك العلامة محمد كرد علي رحمه الله وأجزل له الثواب .

ولكي تفيد الوطن بعلمها ، وتحقق رسالتها انخرطت في سلك التدريس فمضت تدرس مادتي التربية الوطنية والتاريخ في تجهيز البنات بدمشق مدة خمس سنوات ، طلبت اثرها احالتها على الاستيداع لمرافقة زوجها الطبيب الضابط الدكتور مصباح اديب المالح الذي اوفده الجيش العربي السوري الى فرنسا للتخصص في جراحة الفم والاسنان والذي كان له الفضل ايضا بتشجيعها للمضي في اداء رسالتها الفكرية والادبية .

ولقد اتاح للاديبة الشاعرة ان تمضي في ميدان الادب مالاقته من تشجيع في اسرتها العريقة فقد كان والدها القاضي الكبير الراحل الاستاذ حمدي الشلق يبث فيها الثقة ويوليها العناية والرعاية منذ نعومة أظافرها كما ان الكاتبة تلقنت من والدتها كريم الخلق والعطف والحنان والتفاني في حب الوطن الذي يتجلى من خلال قصيدة لها بعنوان ــ وجد ــ حيث تقول :

**انا من اهوى وفي قلبي اوار**
**دائم الثورات جياش السعير**

**قد رضعت الحب من ام روت لي**
**قصص الوجد على مر العصور**

**علمتني ان للاوطان حقا**
**في حياتي ، وفؤادي ، وضميري**

أبصرت الكاتبة نور الحياة عام ١٩٢١ في حنايا جبل قاسيون الجبل الاشم الذي يطل على دمشق فيمنحها الرعاية والعطف ويحميها من غائلات الاعاصير التي تجتاح المدن عادة ونشأت وترعرعت في مدينة دمشق الفيحاء وهذا ترك آثاره العميقة في نفس الكاتبة فهي تعكس حبها لدمشق ونهرها الخالد بردى ولجبلها الشامخ قاسيون في شعرها وقصصها اذ نجد معظم قصصها تجري حوادثها في هذه الربوع وهي تضفي عليها من روحها وحسها وذاتها فتصف لنا غوطة دمشق وجمالها وخضارها وفاكهتها وتتغزل بنهر بردى وجبل قاسيون وتصف لنا في قصصها دقائق الحياة التي كنا نحياها في فترة الاستعمار الفرنسي ويبدو ذلك واضحا في قصتها ــ ودار الزمن دورته ــ حيث تقول في احد مقاطعها :

ــ وازداد غليان الحقد في قلوب شعبنا . وعم الاضراب الاسواق جميعها ، وغصت السجون بالاحرار من الرجال والنساء ، والطلاب والطالبات . وامتلات الساحات بالدبابات والمدرعات وانتشر الجنود في الازقة والطرقات وفي كل مكان .. وفي تلك الشدة الرهيبة خرجت مظاهرة كبيرة قوية تضم رجالا من جميع احياء دمشق، لم يخشوا الموت هاتفين بسقوط الاستعمار وجلاء الدخلاء . وكان في طليعة المتظاهرين رجل يرتدي قميصا ازرق وسروالا اسود ، وعلى رأسه طاقية بيضاء ، يهتف ملء حنجرته :

**ياصالحاني كفك محنى  يافرنساوي قم وارحل عنا**

انه ابو محمود صاحب العربة ــ بطل القصة ــ وصاحب الاهازيج الجملية ــ

الى ان تقول : ــ اما شعبنا العربي الذي يأبى الاستسلام فلم يهن ولم يستكن ، ولم تفتر له عزيمة .

لقد ظل يقاوم ويناضل ، ويقاتل ويحارب في معارك تتلوها معارك ، الى ان كان يوم السادس من تشرين سنة الف وتسعمائة وثلاث وسبعين عندما هبت الامة العربية من اقصاها الى اقصاها تلبي عرب سورية ومصر ــ .

ثم تقول : ــ واندحرت اسرائيل وتساقطت طائراتها الفانتوم والميراج وهوى شموخ طياريها عندما رأوا مواطنينا من نساء ورجال واطفال يتسارعون لالتقاطهم في الشوارع والبساتين والجبال ــ .

وتختم الكاتبة البارعة قصتها بقولها : ــ ورأيت في احد المواكب رجلا يتوسط الصف الاول يرتدي قميصا أزرق ، وسروالا اسود ، وعلى رأسه طاقية بيضاء ، يمشي هادئا صامتا شامخا . انه ابو محمود يشيع ابنه الضابط في الجيش العربي السوري .

وبيته ظل مفتوحا لاهل الحارة ، ولجميع اصدقائه ، ولكل من يشاركه ذلك الايمان ، والاعتزاز والمشاعر بفقده اثنين من ابنائه ، الضابط في الجيش والمجند الذي استشهد في معارك جبل الشيخ .

وفي موضع آخر من مجموعتها القصصية وهي بعنوان ــ الاب الحنون ــ تحدثنا الكاتبة عما يدور بين جبل قاسيون ــ الذي اعتبرته بمثابة الاب ــ ودمشق ــ التي اعتبرتها بمثابة البنت ــ فتقول: ــ انا قاسيون الجبل ، وابنتي دمشق الفيحاء . تحبني وأحبها ، وحبنا قديم قدم الدهر ، ويظل دائما ابديا ما دامت الشمس تشرق وتغرب ، ومادامت الارض تدور .. قلت لها في سالف الازمان وكانت تستريح في حضني :

ــ بنيتي الفيحاء ! هذا صدري ملك لك، ووقف لاولادك وحفدائهم ، وللذراري ...

ابتسمت ابتسامة اعتزاز ، ونظرت الي بعينيها الخضراوين ، رافعة اهدابها السود ، وقالت بدلال :

ــ ادامك اللـه لي سندا يا اعظم اب في الدنيا .

وهي هنا تتحدث لنا بلسان نهر بردى في قصة اخرى بعنوان ـ لماذا جف النهر ـ فتقول : ـ كنت أتهاوى بفروعي السبعة سواقي بينكم . يهنأ بي الصغار والكبار ، والرياحين والازهار ، والدوالي والاشجار ، والخروف والاطيار ، كانت الصبايا يفتحن لي بيوتهن بيتا بيتا ، يستقبلنني ببشاشة ورحابة صدر من افواه النوافير والسباعي ، فكم شهدت اعراسهن ، وكم سعدت برقصهن ، وكم شاركتهن المرح والحبور في نزهاتهن في البساتين .. كانت الشمس ترسل لي دنانير الذهب كل نهار ، والقمر يسبح في مياهي طوال الليل، والانسام تدغدغ وجهي صباح مساء، وسحائب تظللني وتظللكم بغلالة من الندى والقطر ، فتبعث الرطوبة ، وتمتع القيظ والجفاف . كنت اعمل مع الكادحين ، واسهر مع السامرين ، واحلم مع العاشقين كانت مياهي لألاءة ، وحصاي براقة ، فكانت مدينتكم الفيحاء تشرب منها وتستحم وتهنأ ، فمن بساتينكم وخمائلكم وسحائبكم يزداد فيضي وعطائي ـ .

وهكذا نجد الاستاذة الشلق في معظم قصصها تعيش مع دمشق وجبلها ونهرها وافراحها واتراحها في القديم والحديث فتبرز لنا ازمة المساكن القائمة في قصة ـ لي بيت ـ كما تصف حديقة الجاحظ ومهرجان الزهور الذي يقام كل عام (٢) في هذه الحديقة وتنقلنا في قصتها ـ لي عرس كل عام ـ الى جد الجاحظ وادبه وكفاحه .

واما في قصتها ـ منتصف الطريق ـ فهي عدا ابراز حياة المرأة في القديم فهي تعالج في هذه القصة مشكلة المرأة الحديثة التي تحررت بخوضها ميدان العمل ولكنها لم تتحرر من قيود البيت فهي تقاسي ما تقاسي من افتقارها الى من يساعدها في رعاية اطفالها اثناء غيابها في العمل فتجعلنا نشعر بمعاناة هذه المراة التي تقوم بعملين عمل الرجل خارج المنزل وعمل المرأة داخله ولا نجد من يمد اليها يد المساعدة غير امها المسنة المرهقة .

وفي قصة ـ هذا شعر ـ تجعلنا نحس بمعاناة الشعراء والكتاب ومشاكلهم مع رؤساء التحرير . وفي قصة ـ الفادرة ـ تكتب عن مدفأة الحطب ومدفأة المازوت وتقارن بين القديم ومحاسنه ومساوئه والحديث ومحاسنه ومساوئه .

واما في قصة ـ كفاح ـ فهي تنقلنا الى جو الوظيفة حيث تبدو نفسية الموظف القديم الذي لا يحمل شهادة ، وتظهر لنا انانيته الطاغية بمعاملته الموظفين الجدد ممن يحملون شهادات عالية معاملة قاسية اذ يبذل قصارى جهده في ابعادهم عن العمل وعدم مشاركتهم فيه مما يجعلهم يقضون وقتهم كله في فراغ قاتل .

واخيرا فاننا نتمنى للمؤلفة كل نجاح وتوفيق في اصدار بقية انتاجها فهي ستصدر قريبا مجموعة قصص مخطوطة ومحفوظة في المكتبة الظاهرية بعنوان ـ ابتسامات حنان ـ ونشكرها على مجموعتها القصصية القيمة والتي خلدت فيها كثيرا من الانفاس الدمشقية التي كانت ستندثر وتنسى لولم تتبناها الكاتبة في قصصها وشعرها وادبها مما يجعلها في مصاف الادباء والاديبات المخلصين لبلدهم ، والاوفياء لبيئتهم التي يعيشون فيها وهي بذلك تتصف بأدبها الصادق الذي يصور حياة والام وامال مجتمعنا العربي (٣) .

**دمشق ـ حسان الكاتب**

---

(١) صدرت المجموعة في دمشق ـ المطبعة العمومية ـ في ـ ١٢٠ ـ صفحة من القطع الوسط بطباعة انيقة واخراج فاخر وصممت الغلاف الفنانة ـ اسماء الفيومي ـ .

(٢) تقيم هذا المعرض الدولي للزهور وزارة السياحة كل عام في ٢٥ـ٥ وفي حديقة الجاحظ بدمشق .

(٣) قدم لهذه المجموعة من القصص الاديب المعروف الاستاذ سعد صائب .

# رســائل الاصدقاء

**هل ننشىء مدارس عربية لجالياتنا ؟**

في جميع أرجاء المعمورة جاليات عربية ، غالبيتها من السوريين : شاميين ولبنانيين وفلسطينيين واردنيين • وقد رسخت هذه الجاليات أقدامها في الامريكيتين الجنوبية والشمالية ، وخاصة في البرازيل والارجنتين وفنزويلا وتشيلي – حيث رئيس الجمهورية من اصل لبناني – ثم في كندا وافريقيا وعواصم أوروبة •••

ولعل أكثرها شهرة، هي الجاليات المتواجدة في امريكا حيث احتل افرادها المقام الأول بين الجاليات الاجنبية الاخرى ، للكد والجد وحسن المعاملة وللتفوق الملموس الذي ظهرت آثاره في شتى الميادين •

وهل أدلكم على حسن كامل الصباح – وهو من النبطية في لبنان الجنوبي – وقد سمي « أديسون » الصغير لوفرة الاختراعات التيتفتقت عنها عبقريته –فلمامات فينيويورك عام ٩٣٦ عن عمر يناهز الاربعين ، توقفت جميع معاملها دقيقة واحدة حدادا عليه ، وحزنت عليه الولايات المتحدة الامريكية ، فبعث رئيسها آنذاك • بأكليل من الوردمكتوب عليه : « من الحزين فرنكلين روزفلت » ، كما اعتبر موته خسارة على العالم أجمع •

ويعنيني هنا ان أشير الى أن علم الضاد ، قد ارتفع عاليا في سماء المهجر الامريكي • والذين رحلوا بطلب الارتزاق ، لسد رمق الجوع في حشاشتهم ، استطاعوا ان يكسوا حياتهم البائسة ، لونا زاهيا من الورود والرياحين ، اذ نصبوا الحدائق في قلوبهم ، وصدحوا بها أيما صداح ، فكانت الحصيلة : هذا الأدب العربي المهجري ، الذي لفتاليه الانظار – أنظار العالم قاطبة – بالاعجاب والتقدير •

وتلك الكواكب التي سطعت في ديار الغربة، منذ مطلع هذا القرن وحتى يومنا هذا ، ينذر نورها بالافول • فمن الأعلام من مات ومنهم من ينتظر ، ولكنهم أبدا خالدون !!•

وعلى الرغم من أننا لم نعاملهم بمثل مايستحقون ، فان لهم علينا حقا – شعبا عربيا وجامعة عربية وحكومات عربية – أن نتعهد هذا النور بالرعاية ، لكيتوارثه خلف عن سلف •

وتتردد بين الحين والحين صيحات تذكرنا بهذاالواجب ولكنها تذهب ادراج الرياح ••• لقد نقلت الينا الانباء مؤخرا خبرا مؤداه ان وفدا زارنا من منظمة الصداقة العربية – الفنزويلية ( في آراب ) التي تضم ستة وعشرين ناديا ومؤسسة عربية في فنزويلا – وهي لسان حال الاكثرية الساحقة من أبنائنا المقيمين هناك – وقد استقبل الوفد استقبالا رسميا حافلا ، في مطار دمشق ،كما قوبل بالترحاب في جميع الدوائر العليا الشعبية والرسمية •••

وقد شملهم السيد رئيس الجمهورية بالرعاية وبالغ الاهتمام ، اذ دامت مقابلته لهم ساعتين كاملتين ، ووعد بدراسة مطالبهم ، في أقصى سرعة ، وبمنتهى الجدية ، ولاسيما النقطتين التاليتين :

١ – مطالبة الحكومة بدعم المشاريع الثقافية فيفنزويلا

٢ – المساعدة على انشاء مدارس عربية في فنزويلا

وما يقال عن فنزويلا ، يقال عن البرازيل والارجنتين وغيرهما ••• نافلة أن أقول : ان انشاء المدارس العربية ضرورة قومية لامغناة عنها ، وتتطلب السرعة الكلية في تنفيذها ، ذلك لأن ابناء المغتربين وأحفادهم باتوا لاينطقون اللغة العربية أو لايجيدون التطور بها • وليس غيرالمدارس سبيل لتعلم قواعد لغتنا التي هي من أقوى الروابط التي تشدهم الينا لكي يظلوا عربا •

وتلك مهمة تقع على عاتق الجامعة العربيةوالحكومات السورية واللبنانية والاردنية ، خاصة ، وعلى الحكومات العربية عامة • وليس أحب الينا من أن تمسك حكومتنا زمام المبادرة •

وأولا وقبل كل شيء • وكخطوة سريعة في هذا المضمار فلا بد من انتداب بعض موظفي السفارات العربية لتعليم اللغة العربية في تلك المناطق ، ضمن برنامج يتفق عليه مع الجاليات العربية ، وذلك قبل ايفاد المعلمين والمدرسين ، للغاية نفسها ••• وانا لمنتظرون !•••

مصياف : مصطفى الخش

بدوي الجبل ونديم محمد
لماذا لاتقام لهما حفلات التكريم

بدوي الجبل يتربع مكان الصدارة في الشعر العربي المعاصر ، ونديم محمد يجلس في الصف الأول بين الشعراء ولو كابر المكابرون • وكلاهما أبصر النور في جبال محافظة اللاذقية : الأول في ريفه ـ الحفة والثاني في عين شقاق ـ جبلة •

بدوي الجبل اسمه محمد ووالده المغفور له سليمان الأحمد عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ـ اكبر شخصية علمية ودينية ، على امتداد الساحل السوري وعبر ازمان طويلة وحتى يومنا هذا • ونديم محمد من عائلة آل نصور « بوشليحا » •

هذان الشاعران الكبيران ـ أمدالله في حياتهما ـ أصبحا على أبواب الأبدية ، مريضين مرض الموت ، ولكنهما ،على أية حال ، من الخالدين ••• ان من أوجب الواجبات اهتبال الفرصة ، حال حياتهما ، لاقامة حفلات التكريم لهما ، لا في سورية فحسب ، بل في سائر دنيا العروبة ، ذلك لأنهما لم يخصا شعرهما بقطر واحد ، وانما كانا مع وحدة العرب وتضامنهم • أفليس بدوي الجبل هو القائل :

ليس بين العراق والشام حد
هدم الله مابنوا من حدود

والامثلة أكثر من أن تعد أو تحصى ، مما لايتسع له المجال ••• وللايضاح فان نديم محمد رهين بيته في طرطوس يمارس دور الحمية التي هي رأس كل دواء • وكان ينظم الشعر بسيولة ، لكنه توقف عن النظم والمطالعة أخيرا ، بسبب نازلة حلت بعينيه ،ولو أنه مايزال يبصر بهما جيدا • وهذا التوقف يعتبر بنظره ثالثة الأثافي ، اذ لم تعد من سلوى يتعزى بها • وعسى أن لايدوم هذا التوقف طويلا •

أكثر من هذا فان نديم محمد شاعر « البعث » ، هدهده في مهده طويلا ، وتغنى به كثيرا ، وتمنى له ان يكبر ليصبح درع العرب الحصين •ثم انه شاعر القرية أو بمعنى آخر فهو شاعر الجماهير والكادحين ••• وانه لجدير بالقيادة القطرية ووزارة الثقافة واتحاد الكتاب ان يهتموا به الاهتمام المطلوب ، لتأمين ايفاد الاطباء المختصين لعيادته ، ووضع العلاج في متناول يديه ، لأنه فقير ولا يملك سوى راتب تقاعدي ضئيل ، لايكفي أن يتبلغ به قوت يومه ••• انه عنوان الكبرياء ، ولا يمد يده لأحد بسؤل • ولا فض فوه حين قال :

أيها المشفقون لاتلمسوا الجرح بصدري فتوقظوا كبريائي •

وبعد فهذه ذكرى ••• لعل الذكرى تنفع المؤمنين !!؟ •••

مصياف : مصطفى الخش

استاذنا الكبير العلامة حسان الكاتب المحترم

تحيتي واحترامي ، وخير تمنياتي لك في رأس السنة الجديدة ، أسأل الله أن يجعلها سنة خير لك وللأمة العربية كلها •

يسرني أن ابادر بالكتابة اليك لأخبرك بأن جلالة الملك المعظم حرسه الله قد منحني في احتفال رائع في مدينة الحسين للشباب هذه الشهادة :

نحن الحسين بن طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية تقديرا للجهد الفكري الذي قدمه الاستاذ روكس العزيزي ولمساهمته في بناء الحياة الثقافية في المملكة الاردنية الهاشمية خلال الاعوام الخمسة والعشرين الاولى من تولينا العرش •

فقد منحناه شهادة اليوبيل الفضي التكريمية في الآداب، وأمرنا باصدار هذه الشهادة عن ديواننا •

التوقيع : الحسين بن طلال

صدر عن قصرنا بسمان في عمان في اليوم الثامن من شهر ذي العقدة ١٣٩٧ هجرية الموافق لليوم العشرين من شهر تشرين الاول ١٩٧٧ ميلادية •

التوقيع : وزير الثقافة والشباب فواز شرف
رئيس الديوان الملكي الهاشمي
التوقيع : عبد الحميد شرف

ختاما أسمى الاحترام والتقدير باخلاص روكس بن زائد العزيزي •

استاذنا الكبير العلامة الشهير روكس بن زائد العزيزي المحترم

تحيتي واحترامي وبعد ٠

فقد تلقيت رسالتك التي حملت لي النبأ السار والخاص بمنحك شهادة اليوبيل الفضي التكريمية في الآداب من جلالة الملك حسين بن طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية حماه الله ورعاه معملوك ورؤساء العرب المخلصين للأمة العربية الخالدة ٠

وان تقدير جلالة الملك للعاملين أمثالكم يأتي في مقدمة المنجازات التي يحققها الملوك والرؤساء ، لأن تشجيع العلماء والأدباء والشعراء من حكام العرب يشهد لهم بالسير قدما نحو الرفعة والسؤدد والعز والأمة التي تكرم ابناءها العاملين لهي أمة جديرة بالخلود وان تكريمها للعاملين في حقل الفكر يشهد بخلودها وعظمتها ٠

وانك يأخي الفاضل قدمت خلال ربع قرن ماعجز ان يقدمه غيرك في ميدان الفكر والأدب بالاضافة الى ماقدمته في مجال التربية في أكثر من نصف قرن ٠٠ وان الأجيال لتشهد لك بذلك فمن يقرأ لك في معظم المجلات العربية يدرك عظم المسؤولية التي تحملها على عاتقك أيها الأديب العلامة وانني اذ اتوجه اليك بالتهنئة على التقدير الذي نلته وأنت أهل له لابد لي ان أرفع أسمى آيات الشكر والاحترام والامتنان الى جلالة الملك المعظم الذي كرمك وكرم العاملين في المملكة الاردنية الهاشمية كما أرفع أسمى آيات الاحترام لكل الملوك والرؤساء الذين يكرمون ابناء الأمة من العاملين في شتى الميادين وخاصة منها العلمية والفكرية ٠

حفظك الله يأخي الكريم وحفظ كل العاملين من من أبناء الاردن العزيز والوطن العربي الكبير ودمت لأخيك المخلص وسأذكر ذلك في ترجمتك التي سترد في حرف الراء من « الموسوعة الموجزة » تخليدا لعملك وتكريمك وتخليدا للتقدير الذي يلقاه وسيلقاه العاملين من أبناء العروبة ٠

حسان الكاتب

الى الاستاذ خليل خلايلي

العرب في أحقاب التاريخ ـ موسوعة تنقسم الى قسمين : جاهلي ـ واسلامي ٠ والقسم الجاهلي يتألف من خمس حلقات ١ ـ التاريخ العربي وبدايته ـ تم طبعها ونفذت نسخها ٢ ـ التاريخ العربي ومصادره ـ تم طبعها وتكاد تنفذ نسخها ٣ ـ التاريخ العربي وجغرافيته ـ تم طبعها ٠ وتقوم بنشر الحلقتين الثانية والثالثة دار الكتاب سابقا القاهرية ٤ ـ التاريخ العربي وشعوبه ـ تعد للطبع ٥ ـ التاريخ العربي ودوله ـ معدة للطبع بعد الحلقة الرابعة ٠ أما القسم الاسلامي فلا يزال مسودات لم تنسق ٠

واني لاشكر الاستاذ خليل خلايلي على قراءته بعض حلقات القسم الجاهلي ـ وعنايته بما جاء فيه والكتابة عنه في مجلة الثقافة الغراء عدد ٢٣ ربيع الثاني ١٣٩٨ وأقدر ما أبداه فيما كتبه من حسن الظن ، فحسن الظن يدل على طيب خيم ونبل خلق ٠

ولقد استرعت انتباهي ملاحظته الآتية : فقد أخطأ المؤلف باطلاق اسم ـ حرموق ـ على أعلى جبل في فلسطين الشهيدة في حين أن الاسم الصحيح هو ـ الجرمق ـ وانه رجع الى فهرس البلدان والاماكن فوجد الخطأ يتكرر !! مجلة الثقافة ص ٦٥

فالاستاذ الكريم يخالف بملاحظته هذه الاستاذين عبد العزيز عثمان ـ دبلوم الآثار ٠ ومحمد التقى عبد الرحمن ـ ليسانس في الجغرافيا ، فلقد قال الاستاذان في كتابهما ـ جغرافية الوطن العربي ـ في صحيفة ٢٧٠ ـ السلسلة الجبلية الغربية ـ وهي امتداد سلسلة لبنان ، وتبدأ بجبل ـ الجليل ـ الذي فيه أعلى قمة في كل فلسطين ـ وهي جبل ـ الحرموق وارتفاعه ١٢٠٠ م تقريبا ويخالف الاستاذ الخلايلي ـ ايضا : ياقوت الحموي ـ الذي يقول في كتابه الشهير ـ معجم البلدان ـ : جرمق ـ اسم لمرتفعات وبلدان بفارس وغيرها ٠ وقال بهذا النص ـ وادي جرمق ـ من اعمال حيداء ، وهو كثير الاترج والليمون ـ فالجرمق في معجم البلدان : اسم لمدن في فارس وواد في سورية ٠

لذلك انني أرجو من الاستاذ الفاضل ٠ وقد خطأ كتاب ـ التاريخ العربي وجغرافيته ـ أن يرجع الى الاسم ويحقق ويتحقق ٠ فالاستاذ الخلايلي قدير على مثل هذا التحقيق ٠ فلقد بدا فيما ينشره محققا والمحقق حريص على الوصول الى الحقائق ، وسلسلة العرب في أحقاب التاريخ حريصة على الوصول الى حقائق تاريخنا العريق من الامجاد وحقائق جغرافيته الفنية بالمقدسات ومدارس الحضارات فللاستاذ الخلايلي الشكر اولا وثانيا والله الموفق للصواب ٠

امين المدني